أوديبوس بين "البصير الأعمى" و"الأعمى البصير" فى مسرح سوفوكليس

يهدف هذا البحث إلى تحليل شخصية أوديبوس في مسرحيتي "أوديبوس ملكا" و"أوديبوس في كولونوس" لسوفوكليس، هذه الشخصية التي تأثرت بنبوءة معبد دلفي: أنه سيقتل والده ويتزوج من والدته. فقد تحققت النبوءة وانتحرت أمه بعد معرفتها للحقيقة، أما أوديبوس، فقد أطفأ نور عينيه وعاش بقية حياته في ظلام عماه حتى دُفن بصورة كريمة في قرية كولونوس في مدينة أثينا. وما يهمنا في هذا البحث هو التركيز على حالتي أوديبوس قبل وبعد معرفته بحقيقة الدنس الذي كان يعيش فيه. وبالرغم من أنه كان بصيرا فإنه كان أعمى من منطلق أنه كان يجهل حقيقة حياته، هذا الجهل الذي جعله لا يستطيع أن يتحكم في تصرفاته، ويورطه في ارتكاب هذا الدنس. وبعد أن عرف أوديبوس حتمية قدره وفظاعة جرائمه – قتل والده والزواج من والدته – أدرك حقيقة الحياة البشرية، واستطاع من خلال معاناته السابقة أن يفكر في قراراته قبل الاندفاع في تنفيذها؛ فقد أصبح أعمى ولكنه بصيرا بمعرفته. ومن ثم سيتناول هذا البحث حالتي أوديبوس بين البصير الأعمى والأعمى البصير وهذا من خلال التعبيرات النصية والمصطلحات التي تبرز هاتين الحالتين في مسرحيتي "أوديبوس ملكا" و"أوديبوس في كولونوس".

مصطلحات البصيرة والعمى (المعرفة والجهل)

بدايةً نحدد مصطلحات البصيرة والعمى، التي أُستخدمت في مسرحيتي "أوديبوس ملكا" (أ.م) و"أوديبوس في كولونوس" (أ.ك)، لتشير إلى الناحية الفسيولوجية الحسية، ولترمز أيضا إلى الناحية المعرفية، وقد تُستخدم أيضا هذه المصطلحات بصورة عكسية عندما تعبر عن التهكم الدرامي والسخرية.

فقد عُبر عن البصيرة والمعرفة بالمصطلحات والتعبيرات التالية:

γνωτὰ (البيت ٥٨، أ.م)، *οὐκ ἄγνωτά* (البيت ٥٨، أ.م)، *εὖ οἶδα*، (البيت ٥٩، أ.م)، *λαμπρὸς ὄμματι* (البيت ٨١ ، أ.م)، *Ἔξοιδα* (البيت ١٠٥ ، أ.م. البيت ٩٨٥، أ.ك)، *ἀκούω* (البيت ١٠٥ ، أ.م)، *ὁρῶ* (البيت ٢٩٣، أ.م)، *μάθω* (البيت ٣٥٩ ، أ.م)، *δέδορκας*، (البيت ٤١٣، أ.م)، *ἐκμαθεῖν σαφῶς* (البيت ٥٢٨ وما يليه، أ.م)، *Ἐξ ὀμμάτων δ' ὀρθῶν τε κἀξ ὀρθῆς φρενὸς πάνθ'* (البيت ١٠٦٥، أ.م)، *προσβλέψαιμι* (البيت ١١٨٣، أ.م). *διδάσκει* (البيت ٨ ، أ. ك)، *ἐκμάθω τίνας λόγους ἐροῦσιν* (البيت ٧٤، أ.ك)، *ὁρῶντα λέξομεν* (البيت ١١٤ وما يليه، أ. ك)، *ἔνεστιν ηὐλάβεια τῶν ποιουμένων μαθεῖν* (البيت ١١٥ وما يليه، أ.ك)، *καλῶς ἔξοιδα* (البيت ١٣٨ وما يليه، أ.ك)، *φωνῇ γὰρ ὁρῶ, τὸ φατιζόμενον* (البيت ٢٦٩ وما يليه، أ.ك)، *ἐμάνθανον* (البيت ٤٣٨، أ.ك)، *μόνος ...αὐτὸς μαθήσῃ* (البيت ١٥٢٦ وما يليه، أ.ك)، *Τὰ μὲν τοιαῦτ' οὖν εἰδότ' ἐκδιδάσκομεν* (البيت ١٥٣٩، أ.ك).

بينما عُبر عن العمى والجهل بالمصطلحات والتعبيرات التالية:

οὐ εἰσεῖδόν (البيت ١٠٥ ، أ.م)، *μὴ βλέπω* (البيت ٣٠٢ ، أ.م)، *Οὐχ γνωστόν* (البيت ٣٦١، أ.م)، *Λελῃθέναι* (البيت ٣٦٦، أ.م)، *οὐδ' ὁρᾶν* (البيت ٣٦٧، أ.م)، *τυφλὸς τά τ'* *τρέφῃ πρὸς νυκτός* (البيت ٣٧٠ وما يليه، أ.م)، *ὦτα τόν τε νοῦν τά τ' ὄμματ' εἶ* (البيت ٣٧٤ ، أ.م)، *φῶς ὁρᾷ* (البيت ٣٧٥ ، أ.م)، *ὁ μηδὲν εἰδὼς* (البيت ٣٩٧، أ.م)، *βλέποντα ... σκότον*

(البيت ٤١٩، أ.م)، *Οὐ γὰρ φρονοῦντά σ'* (البيت ٤٥٤، أ.م)، *τυφλὸς γὰρ ἐκ δεδορκότος* (البيت ٦٢٦، أ.م)، *εὖ βλέπω* (البيت ٧٤٥ ، أ.م)، *οὐκ εἰδὼς τί δρᾷς* (البيت ١٠٠٨، أ.م)، *οὐκ εἰδέναι* (البيت ١٢٧١، أ.م)، *σκότου νέφος* (البيت ١٣١٣ وما يليه، أ.م)، *οὐκ ὄψοιντό* (البيت ١٣٢٥، أ.م)، *γιγνώσκω σαφῶς* (البيت ١٣٢٧، أ.م)، *ὄψεις μαρᾶναι* (البيت ١٣٦٧، أ.م)، *οὐκ οἶδ' ὅμμασιν ποίοις βλέπων*، (البيت ١٣٧١، أ.م)، *ζῶν τυφλός* (البيت ١٣٨٩، أ.م)، *τυφλός τε καὶ κλύων μηδέν* (البيت ١٤٨٣، أ.م)، *ὄμματα ... λαμπρὰ* (البيت ١٤٨٤، أ.م)، *οὔθ' ὁρῶν οὔθ' ἱστορῶν* (البيت ١٤٨٦، أ.م). *προσβλέπειν οὐ σθένω* (البيت ٣٥ ، أ.ك)، *ἀνδρὸς μὴ βλέποντος* (البيت ٧٣، أ.ك)، *ἀδηλοῦμεν* (البيت ١٤٦ وما يليه، أ.ك)، *ἀλλοτρίοις ὄμμασιν εἶρπον* (البيت ١٤٩ وما يليه، أ.ك)، *τῷ μὴ δύνασθαι μήθ' ὁρᾶν*، (البيت ٤٩٦، أ.ك)، *ἀλαῶν ὀμμάτων ἦσθα φυτάλμιος* (البيت ٥٤٧، أ.ك)، *ἄνους ... ὤλεσα* (البيت ٥٤٨، أ.ك)، *ἄϊδρις*، (البيت ٩٨٣، أ.ك)، *οὐκ εἰδότ' οὐκ εἰδυῖα* (البيت ١٥٤٩، أ.ك). *Ὦ φῶς ἀφεγγές*،

البصير الأعمى– مسرحية "أوديبوس ملكا"

يمارس سوفوكليس في مسرحية "أوديبوس ملكا" موهبته في المفارقة الدرامية التي تثير السخرية والتهكم الدرامي، فنجد أوديبوس يعلن أنه يعرف كل شئ، وبالطبع بالنسبة للجمهور هو لا يعرف أي شئ ويجهل حتى حقيقة نسبه. ففي بداية المسرحية يبحث الملك أوديبوس عن سبب الطاعون الذي أصاب مدينة طيبه، ولا يدري أنه هو نفسه سبب هذا الطاعون؛ بقتل والده ملك طيبه والزواج من الملكة والدته، وإنجابه أطفالاً منها. ونجده يشفق على أبناء وطنه مستخدما تعبيرات متكررة تدل على ادعائه المعرفة بأسباب آلامهم (الأبيات ٥٨-٦٤)؛ فهو يعرف ما يرغبون فيه حق المعرفة (*γνωτὰ κοὐκ ἄγνωτά μοι*، البيت ٥٨)، ويدرك جيدا لِمَ يتألمون جميعا (*εὖ γὰρ οἶδ'* *ὅτι νοσεῖτε πάντες*، البيت ٥٩ وما يليه). وتكمن أهمية التعبيرات "*γνωτὰ*، *οὐκ ἄγνωτά*، *εὖ οἶδα*"؛ في أنها تشير بصورة تهكمية إلى معرفة أوديبوس؛ فهو يعتقد أنه على علم بكل شئ، ولكنه يجهل في الحقيقة أنه سبب الآلام والأمراض لأهل طيبة.[1] وعندما يقترب وصول نبوءة دلفي عن سبب الطاعون، نجد أوديبوس يتمنى أن يأتي الإله أبوللون بخبر ينقذ به البلاد من مصيرها، ويكون مثل بريق عينيه (*εἰ γὰρ ἐν τύχῃ γέ τῳ σωτῆρι βαίη, λαμπρὸς ὥσπερ ὄμματι*، البيت ٨٠ وما يليه). تشير التعبيرات "*λαμπρὸς ὄμματι*، *τῳ σωτῆρι βαίη*" بصورة تهكمية على واقع الأحداث؛ حيث تقف في علاقة

---

(١) يدعم A.G.Katsours *Linguistic and stylistic characterization Tragedy and Menander*. Ioannina 1975, p. 50) أن الفعل "*οἶδα*" سواء جاء بسيطا أو مركبا يجلب بالتأكيد قدرا من التهكم الدرامي لمسرحية أوديبوس ملكا؛ حيث يستخدمه كثيرا بطل المسرحية الذي يعتبر ضحية الجهل. عن الإشارات إلى هذا الفعل، أنظر الأبيات التالية: ٥٨ وما يليه، ٨٤، ١٠٥، ١٢٩، ٢٥٠، ٣٣٠، ٣٩٧، ٦٥٥، ٦٥٨، ٧٤٥، ١٠٤١، ١١٢٨، ١٣٧١، ١٤٥٥. ويستخدم أوديبوس أيضا الصفة "*πᾶς*" ليعبر بصورة تهكمية عن معرفته بكل شئ أو عدم معرفته بشئ، عن هذه الصفة أنظر الأبيات التالية: ١١ وما يليه، ٦٠، ٧٧، ٩٣، ١٤٥، ٢٢٦، ٢٤١، ٢٥٢، ٣١٣، ٣٢٧. وعن مشكلة المعرفة عند أوديبوس سوفوكليس، أنظر:

M. W. Champlin, "*Oedipus Tyrannus*" and the Problem of Knowledge" *CJ* 64 no. 8 (1969), pp. 337-345.

عكسية مع معرفة أوديبوس عن حقيقته ومصيره؛ وتبرز جهله بما يخبئه أبوللون له من تعاسة، فسينقذ البلاد حقا، ولكن على حساب شقائه وظلام عينيه في النهاية.(١)

ويستمر التهكم الدرامي في مرافقة كلمات أوديبوس بهدف إبراز جهله وعماه عن حقيقة الأمور. فعندما يسأله كريون هل يتكلم عن مضمون نبوءة دلفي أمام العامة، فيجيبه أن يتكلم أمام الجميع (*Ες πάντας αὔδα*)، فالمصيبة تخص الجميع ولا تخصه هو وحده فقط (*τὸ πένθος ἢ καὶ τῆς ἐμῆς ψυχῆς πέρι*، البيت ٩٣ وما يليه)، وتشير تعبيراته هنا إلى جهله بحقيقة جرمه. وبينما يروي كريون أحداث قتل الملك، يقاطعه أوديبوس بقوله إنه يعرف هذه الأحداث وسمع بها ولكنه لم يري هذا الملك (*Ἔξοιδ' ἀκούων·* *οὐ γὰρ εἰσεῖδόν γέ πω*، البيت ١٠٥)، وتلعب التعبيرات "*Ἔξοιδα*"، "*ἀκούων*، "*οὐ εἰσεῖδόν*" دورا مهما في هذا البحث؛ حيث تعبر بصورة تهكمية عن حالة أوديبوس في هذه المسرحية؛ فهو قد يكون بصيرا يعرف ويسمع ولكنه لا يرى حقيقة الأمور، فقد قتل رجلا دون أن يعرف أنه والده الملك؛ فهو لم يراه من قبل.(٢) ونجد أصداء أخرى لتعبيرات المعرفة والاستماع في بداية المسرحية على لسان الكاهن، عندما يوضح لأوديبوس أنه يستطيع معاونة أهل وطنه وإنقاذهم من الطاعون بأن يستمع إلى وحي الآلهة أو يعرف الحقيقة من أحد البشر الحكماء (*εἴτε του θεῶν φήμην ἀκούσας εἴτ' ἀπ' ἀνδρὸς οἶσθά του*، البيت ٤٢ وما يليه). تلعب أفعال الاستماع "*ἀκούσας*" والمعرفة "*οἶσθά*" دورا مهما في موضوع هذا البحث؛ حيث يشيرا بصورة تهكمية إلى الشيئين اللذين يفتقدهما أوديبوس وأصبح أعمى عن حقيقة حياته، فكان يجب عليه أن يأخذ حذره من نبوءة الآلهة ويؤمن بحتمية تنفيذها وبعلم العراف بالحقيقة، ولو اتبع هذا لما وصل إلى نهايته المأسوية.(٣)

وتثير كلمات أوديبوس التهكم أيضا عندما يوعد شعبه وكريون أنه سيزيل هذا الدنس ليس من أجل أصدقائه فقط ولكن أيضا من أجل نفسه (*ἀλλ' αὐτὸς αὑτοῦ τοῦτ' ἀποσκεδῶ μύσος*)، وذلك خشيةً من إقدام قاتل الملك على قتله هو نفسه، ومن ثم فهو يفيد نفسه بقدر ما يفيدهم، في حالة قبضه على هذا القاتل (*κείνῳ προσαρκῶν οὗν ἐμαυτὸν ὠφελῶ*، الأبيات ١٣٧-١٤١).

---

(١) يصرح A.Lesky (*Greek Tragedy*. London & NewYork 1978, p. 114) أن التهكم في مسرحية أوديبوس ملكا حول كل تصريحات البطل ومعتقداته إلى العكس.

(٢) يعلق Champlin ("*Oedipus Tyrannus*" and the Problem of Knowledge", p. 337) أن اسم أوديبوس لعب دورا مهما في فهم أحداث المسرحية، فقد يشير اسمه (Οἰδίπους) إلى الإنسان الذي يريد أن يعرف (*οἶδα*). وقد جاءت المعرفة من أفعال تدل على الرؤية مثل "*ὁρῶ*، البيت ٤٥"، "*βλέπω* ، البيت ٣٤٨"؛ والاستماع مثل "*κλύω*، البيت ٩٥٢"، "*ἀκούω*، البيت ٢٩٣"؛ واللمس مثل "*ψαύω*، البيت ١٤٦٥"؛ ويجلب الفعل "*ὁρῶ*" نتيجته في الفعل "*οἶδα*" بمفهوم الرؤية والمعرفة.
ويصرح L.Versényi ("Oedipus: Tragedy of Self-Knowledge", *Arion* 1 no. 3 (1962), p. 24) أن مسرحية أوديبوس ملكا ليست مأساة النبوءة الإلهية وتحكمها في مصير الإنسان، ولكنها مأساة المعرفة البشرية؛ إنها صراع بين الرؤية والعمى، النور والظلام، البصيرة والخطيئة، المعرفة والجهل.

(٣) عن البيت ٤٢ وما يليه من مسرحية أوديبوس ملكا، أنظر:
F. T. Rickards, "Sophocles *Oedipus Tyrannus* 40-45" (*CPh* 2 no. 1 (1907), pp. 94-98.

يثير التعبير "ἀποσκεδῶ μύσος" (أزيل الدنس) التهكم الدرامي؛ حيث يجهل أوديبوس أنه هو الدنس نفسه الذي يرغب في إزالته ليفيد (ὠφελῶ) المدينة؛ فحقا بعمله هذا سيفيد الشعب، ولكن على حساب خسارة سعادته.(١) وقمة التهكم نجده في كلمات أوديبوس، عندما يتمنى أن يصل بمعونة الآلهة إلى السعادة (εὐτυχεῖς σὺν τῷ θεῷ φανούμεθα)، أو ليسقط مع الجميع إلى القاع (πεπτωκότες، الأبيات ١٤٥-١٤٦). من الناحية الظاهرية تعبر كلمة "εὐτυχεῖς" عن السعادة، ولكنها تبرز أيضا من الناحية الضمنية تهكما واضحا؛ حيث تقف في تناقض مع التعاسة التي سيصاب بها أوديبوس بعد ذلك، بينما يتنبأ التعبير "πεπτωκότες" بسقوط أبطال المسرحية في المعاناة ويرمز إلى جهل أوديبوس بما ينتظره من سقوط في المصائب.

وبعد ذلك يطلب أوديبوس من أهل طيبة أن يبحثوا عن القاتل (الأبيات ٢٢٣-٢٢٧)، ويتوعد هذا القاتل بالعقوبات، وهنا نجد توضيحا آخر لجهل أوديبوس، حيث يحدد بنفسه عقوبات القاتل: النفي خارج الأرض آمنا على حياته (γῆς δ' ἄπεισιν ἀσφαλής، البيت ٢٢٩). ثم يتمنى أوديبوس للقاتل الوحدة والذلة في حياته بعيدا عن الوطن (κακὸν κακῶς νιν ἄμορον ἐκτρῖψαι βίον، البيت ٢٤٨). ويهدد أوديبوس القاتل بالعقاب، وحتى لو علم أنه شخص من أهل بيته يشاركه الحياة والمعيشة (οἴκοισιν εἰ ξυνέστιοςἐν τοῖς ἐμοῖς γένοιτ' ἐμοῦ ξυνειδότος، البيت ٢٤٩ وما يليه)، فهو يبدي رغبة شديدة في أن يعاني هذا القاتل (παθεῖν ἅπερ τοῖσδ' ἀρτίως ἠρασάμην، البيت ٢٥١). تأتي التعبيرات "παθεῖν ، ξυνειδότος" في صورة تهكمية؛ حيث توضح جهل أوديبوس بأن هو الشخص القاتل الذي سيعاني بعد اكتشاف حقيقته. وبعد ذلك يطلب أوديبوس من الناس أن يعاقبوا المدنس (ἀνδρός γ' ἀρίστου βασιλέως ὀλωλότος)، الذي قتل الملك النبيل الطيب (ἀκάθαρτον، البيت ٢٥٦ وما يليه)، فسيدافع بنفسه عن الملك وكأنه والده (ὡσπερεὶ τοὐμοῦ πατρός)، وسيصارع (ὑπερμαχοῦμαι) حتى يصل (ἀφίξομαι) إلى اكتشاف مرتكب الجريمة والقبض عليه (ζητῶν τὸν αὐτόχειρα τοῦ φόνου λαβεῖν، الأبيات ٢٦٤ - ٢٦٦). ولعل التعبيرات "λαβεῖν ،ζητῶν ،ἀφίξομαι ،ὑπερμαχοῦμαι" توضح من ناحية إصرار أوديبوس على مواصلة البحث عن القاتل، ومن ناحية أخرى تبرز جهل أوديبوس وعدم وعيه بنتائج هذا البحث. وعندما يقول قائد الكورس إن الملك لايوس قُتل على يد مسافرين (البيت ٢٩٢)، يرد عليه أوديبوس أنه سمع ذلك ولكن لا يوجد أحد شاهد هذه

---

(١) بخصوص التهكم في مسرحية أوديبوس ملكا، يعلق

C. M. Bowra; *Landmarks in Greek Literature.* London 1970, pp. 138-139.

أن أوديبوس يبحث عن القاتل ولا يعرف حقيقة أنه القاتل، وحتى عندما يعرف الحقيقة منعه عماه من تقبل هذه الحقيقة. وفي النهاية عندما اقتنع بالحقيقة أدرك أن حياته ليست لها معنى. ويستغل سوفوكليس هذه المأساة وجهل أوديبوس بالحقيقة ليكشف عن العلاقة بين الإنسان والآلهة. عن التهكم، أنظر أيضا:

W.C.Helmbold, "The Paradox of the Oedipus" (*AJPh* 72 1951), pp. 293-300, esp. 298; H.Musurillo, "Sunken Imagery in Sophocles' *Oedipus*" (*AJPh* 78 1957), pp. 36-51; P.W.Harsh, "Implicit and Explicit in the *Oedipus Tyrannus*" (*AJPh* 79 1958), pp. 243-258; R.Lattimore, *The Poetry of Greek Tragedy* (Baltimore 1958), pp. 85-86, 89ff; R.G.A. Buxton, "Blindess and Limits: Sophokles and the Logic of Myth "*JHS* 100 1980), pp. 22-37. E.P.Garrison, *Groaning Tears: Ethical and Dramatic Aspects of Suicide in Greek Tragedy* (Leiden, New York, Koln 1995) p. 112. D. S. Kaufer "Irony, Interpretive Form, and the Theory of Meaning" (*Poetics Today* 4, no. 3 The Ironic Discourse 1983), pp. 452-453. B.Lang, "The Limits of Irony" (*New Literary History* 27 no. 3 (1996), pp. 572-4, 582-583.

الحادثة (*Ἥκουσα κἀγώ· τὸν δ' ἰδόντ' οὐδεὶς ὁρᾷ*، البيت ٢٩٣). وتدل الأفعال "*ὁρῶ، ἀκούω*" على أن السمع والرؤية مقدرات ذهنية تؤدى إلى المعرفة، وبالرغم من أن أوديبوس يرى، فإنه يفتقد بالطبع هذه المعرفة المبنية على السمع والرؤية؛ وفي المقابل بالرغم من أن الكاهن لا يرى فسيولوجيا (*εἰ καὶ μὴ βλέπεις*)، فإنه لديه معرفة بأمور السماء والأرض ومدرك تماما بأمر الوباء الذي حل على المدينة (*πόλιν φρονεῖς δ' ὅμως οἵᾳ νόσῳ σύνεστιν*)، مثلما يوضح أوديبوس في التماسه للكاهن لينقذ المدينة (البيت ٣٠٢ وما يليه).(١) ويؤكد الكاهن أن سمة الاندفاع كانت تسيطر على أوديبوس أثناء بحثه عن الحقيقة؛ ويوضح أن جميع البشر حمقى ولا يفكرون (*οὐ φρονεῖτε*)، ثم يحدد أن الأحزان التي سيعرضها (*ἐκφήνω κακά*) ليست تخصه ولكنها تخص أوديبوس نفسه (البيت ٣٢٨ وما يليه). يبرز التعبير "*οὐ φρονεῖτε*" عمى أوديبوس العقلي أثناء بحثه عن القاتل، حيث يصر على معرفة القاتل بالرغم من تحذير العراف له، وتأكيده أنه لا يريد أن يسبب له الأحزان (*οὔτε σ' ἀλγυνῶ*، البيت ٣٣٢).

ويعد الغضب من أهم الدوافع التي سيطرت على نشاط أوديبوس، وقادته إلى العمى العقلي وعدم التفكير في مصيره التعيس وعدم الحذر من حتمية تنفيذه النبوءة. فقد دفعه الغضب إلى قتل والده، الذي لم يعرفه، دون أن يفكر أن القدر قد حكم عليه أن يقتل والده ولكن اندفاعه أنساه هذا وقاده إلى الوقوع في الخطأ وارتكاب هذه الجريمة. ومرة ثانية، مثلما يوضح العراف (البيت ٣٤٣ وما يليه)، تدفعه ثورة الغضب العنيف (*θυμοῦ δι'* *ὀργῆς ἥτις ἀγριωτάτη*) إلى الإصرار على معرفة الحقيقية من العراف بالرغم من نهيه عن هذا، ويؤكد أوديبوس بنفسه أن الغضب قد سيطر عليه (*ὡς ὀργῆς ἔχω*، البيت ٣٤٥)، ثم يتهم العراف بالاشتراك في جريمة قتل الملك (الأبيات ٣٤٦-٣٤٨). ويسخر أوديبوس من عمى العراف بقوله بأنه لو تصادف أنه بصيرا (*εἰ δ' ἐτύγχανες βλέπων*)، ما تردد في اتهامه بأنه الشخص الوحيد الذي ارتكب جريمة قتل الملك (*τοὔργον ἂν σοῦ τοῦτ' ἔφην εἶναι μόνου*، البيت ٣٤٨ وما يليه). يوضح أوديبوس هنا أن الأعمى لا يستطيع القتل، وأن البصير فقط هو القادر على القتل في تلميح أخير بصورة غير مباشرة إلى أن أوديبوس هو القاتل؛ حيث بعد قليل ينفجر العراف، تستفزه سخرية أوديبوس، ويقول الحقيقة: إن أوديبوس هو الرجس الذي يدنس أرض طيبة (*ὡς ὄντι γῆς τῆσδ' ἀνοσίῳ μιάστορι*، البيت ٣٥٣).(٢)

وعندما يصطدم أوديبوس بمفاجأة أنه القاتل، يستفسر مرة ثانية من العراف عما يقوله حتى يفهم بصورة أوضح (*Ποῖον λόγον; λέγ' αὖθις, ὡς μᾶλλον μάθω*، البيت ٣٥٩). ويعد التعبير "*ὡς μᾶλλον μάθω*" (لكي أفهم أكثر) ذا دور مهم لموضوع البحث، حيث يبرز بالدليل القاطع مشكلة أوديبوس وسبب معاناته: أنه لا يعلم ما ينتظره من مصير مشئوم، وقد دفعه عماه العقلي وغضبه إلى الإصرار على تقصي الحقائق، ولذا يجب عليه الآن أن يفهم أكثر حتى يتعامل مع الأحداث. ويكرر أوديبوس كلماته التي تبرز عدم معرفته، عندما يصرح للعراف أن كلامه ليس معروفا بالنسبة له ويجب أن يعيد ما يقوله مرة ثانية

---

(1) Champlin, "*Oedipus Tyrannus*" and the Problem of Knowledge", p. 339.

(2) Champlin *Oedipus Tyrannus*" and the Problem of Knowledge", p. 339

يعلق Champlin إن قمة التصادم بين معرفة العراف وجهل أوديبوس تأتي عندما يكشف العراف عن حقيقة أن أوديبوس هو قاتل لايوس، ولكن أوديبوس يدفعه ظلام عقله إلى رفض هذه الاتهام وينتقد العراف بالعمى في أذنيه وعقله وعينيه.

(*Οὐχ ὥστε γ' εἰπεῖν γνωστόν· ἀλλ' αὖθις φράσον*، البيت ٣٦١). تؤكد التعبيرات "*Οὐχ γνωστόν، ὡς μᾶλλον μάθω*" جهل أوديبوس بمصيبته؛ فهو بصير ولكنه أعمى بجهله وغضبه.(١) وهذا ما يؤكده العراف، حيث يصرح أنه كلما يتحدث بصورة تفصيلية عن الحقيقة يزيد من غضب أوديبوس (*ἵν' ὀργίζῃ πλέον*، البيت ٣٦٤). فقد دفعه جهله (*Λελῃθέναι σε*، البيت ٣٦٦) إلى معاشرة أعز الناس عليه معاشرة تجلب الخزي والعار (*σὺν τοῖς φιλτάτοις αἴσχισθ' ὁμιλοῦντ'*، البيت ٣٦٦ وما يليه)، فهو لا يرى الشر الذي يعيش فيه (*οὐδ' ὁρᾶν ἵν' εἶ κακοῦ*، البيت ٣٦٧).(٢) توضح التعبيرات "*Λελῃθέναι*، *οὐδ' ὁρᾶν*" عمى أوديبوس وجهله؛ وبالرغم من أنه بصير فإنه يجهل حقيقة ما يعيش فيه، ولا يرى الدنس الذي يحيط به. وعندما يؤكد العراف أن الحقيقة التي يقولها قوية (*ἔστι τῆς ἀληθείας σθένος*، البيت ٣٦٩)، يوافقه أوديبوس ولكنه ينتقده بكلمات تثير التهكم؛ حيث يصف حديثه بالضعف؛ حيث يخرج من فم رجل أعمى في أذنه وعقله وبصره (*τυφλὸς τά τ' ὦτα τόν τε νοῦν τά τ' ὄμματ' εἶ*، البيت ٣٧٠ وما يليه). ولكن العراف يرد عليه بأن الناس جميعا سينتقدونه بعد ذلك بما ينتقده به الآن (البيت ٣٧٢ وما يليه).

مجازا نجد أن أوديبوس يصف نفسه في صورة العراف؛ فهو في الحقيقة، وليس العراف، الأعمى في سمعه وعقله وبصره. وبالرغم من بصيرته لم يستوعب النبوءة واجتاحه العمى العقلي، لم يفكر في احتمالات مصادفة والده وقتله دون أن يعرف، والآن أيضا يجتاحه العمى في حاسة السمع؛ حيث لم يستمع إلى تحذيرات كريون والعراف من مواصلة التحقيق، وبعد قليل سيصبح بالفعل أعمى البصر.(٣)

ويواصل أوديبوس السخرية من عمى العراف؛ حيث يقول له إنه طالما يعيش في ظلام الليل (*Μιᾶς τρέφῃ πρὸς νυκτός*)، فإنه لا يستطيع أن يسئ إليه أو إلى أي أحد آخر يرى النور (*ὥστε μήτ'*
ἐμὲ μήτ' ἄλλον ὅστις φῶς ὁρᾷ βλάψαι π οτ' ἄν، البيت ٣٧٤ وما يليه).(٤) يكرر أوديبوس هنا ادعاءات قوته من ناحية قدرته في رؤية النور في تناقض مع عجز العراف الذي يرى الظلام فقط.(٥) توضح

---

(1) S. Goldhill; *Reading Greek Tragedy*. Cambridge 1986, p. 173.

يؤكد أن الجهل والغضب والحماقة دفعوا أوديبوس إلى عدم الاستماع للحقيقة من العراف وعدم تصديقها.

(2) R.G.A.Buxton, "Blindness and Limits: Sophokles and the Logic of Myth" (*JHS* 100 1980), p. 24.

(3) Buxton; "Blindness and Limits: Sophokles and the Logic of Myth", p. 23.

يوضح Buxton أن العراف بالرغم من أنه أعمى فإنه لديه بصيرة أعظم من الإنسان؛ فهو في نفس الوقت أقل وأعظم من الإنسان. وبالمقارنة أوديبوس ليس أكثر أو أقل من الإنسان. فمثلما يقول الكاهن (البيت ٣١ وما يليه) لا يعتبر أوديبوس مساويا للآلهة، ولكنه مثل الإنسان الأول؛ وبالرغم من أنه يرى، فإنه مثل كل البشر يفتقد البصيرة لمعرفة حقيقية نفسه والعالم الذي حوله.

(4) H. Musurillo; "Sunken Imagery in Sophocles' *Oedipus*" *AJPh* 78 no. 1 1957 , p. 43.

يعلق H. Musurillo أن التهكم واضح في البيت ٣٧٤ وما يليه؛ وبالرغم من أن أوديبوس لا زال مبصرا فإنه لا يرى النور بالفعل، وإعمائه لنفسه في نهاية المسرحية كان مجرد رمزا لوهمه السابق أنه يرى نور الحقيقة. وهنا يشير سوفوكليس إلى المشكلة الأعمق لرؤية الإنسان ومفهومه عن القوى العليا؛ فهو يصور عمى البشر ومحدودية فهمهم للقوى العليا التي تحكم العالم.

(٥) بخصوص الأبيات ٣٧٠-٣٧٥ من مسرحية أوديبوس ملكا، يوضح Goldhill (*Reading Greek Tragedy*, p. 219) أن عمى العراف، الذي امتد من عينيه إلى قدراته الذهنية والسمعية، منعه (حسب وجهة نظر أوديبوس) من حماية الحقيقة، وعلى أية حال كان تطاول أوديبوس مجرد تنبؤ بنهايته. أنظر:

الكلمات هنا علاقة النور والظلام، بالمعرفة والجهل، وبالطهر والدنس، ولكن استخدمت هذه العلاقة بصورة تهكمية؛ فالعراف الأعمى الذي يعيش في الظلام لديه المعرفة والطهر والبصيرة، أما أوديبوس الذي يرى نور الحياة يعاني من الجهل والدنس وعمى العقل بخصوص ماضيه وحاضره ومستقبله. ويواصل أوديبوس سخريته من العراف الذي لم يستطع حل الألغاز التي كان يلقيها الحيوان على أهل المدينة، وجاء هو أوديبوس الذي لا يعرف أى شئ وأوقف شر هذا الحيوان (*ὁ μηδὲν εἰδὼς Οἰδίπους, ἔπαυσά νιν*، البيت ٣٩٧). يأتى التعبير "*ὁ μηδὲν εἰδὼς*" (الذى لا يعرف أى شئ) ليعبر بصورة تهكمية عن جهل أوديبوس بوصفه إنسانا يجهل مصيره المحتوم.(١)

وهذا ما يوضحه العراف بعد ذلك، عندما يتحدث عن حقيقية عمى أوديبوس البصير (الأبيات ٤١٢-٤٢٥)، وبالرغم من أنه يرى، فإنه لا يرى الشر الذى وقع فيه (*σὺ καὶ δέδορκας κοὐ βλέπεις ἵν' εἶ κακοῦ*، البيت ٤١٣)، ولا المنزل الذى اتخذه لنفسه ولا من يعاشر من الناس (*οὐδ' ἔνθα ναίεις, οὐδ' ὅτων οἰκεῖς μέτα*، البيت ٤١٤). إنه لا يعرف من أين وُلد، ويجهل أنه عدو لأسرته في الدنيا وفي دار الموتى (*Ἆρ' οἶσθ' ἀφ' ὧν εἶ; καὶ λέληθας ἐχθρὸς ὢντοῖς σοῖσιν*، البيت ٤١٥ وما يليه)، وسيصيبه اللعنة من أمه وأبيه ويخرج من الأرض الآمنة.(٢) إنه يرى النور الآن، ولكنه سيرى الظلام بعد قليل (*βλέποντα νῦν μὲν ὀρθ', ἔπειτα δὲ σκότον*، البيت ٤١٩)، إنه لا يدرك حشد الشرور التى تحيط به (*Ἄλλων δὲ πλῆθος οὐκ ἐπαισθάνῃ κακῶν*، البيت ٤٢٤).(٣) يعكس التناقض في التعبيرات "*δέδορκας، βλέπεις οὐ، ναίεις οὐδε، οἰκεῖς οὐδ' οἶσθε، λέληθας ، βλέποντα νῦν، σκότον*" التناقض فى حياة أوديبوس فهو بصير ولكنه أعمى، يرى ولا يفهم، يعرف ولكنه يجهل؛ إنه يرى الآن النور، ولكنه بعد ذلك سيرى الظلام.(٤)

ويستمر العراف في السخرية من ذكاء وبصيرة أوديبوس، متعجبا أن الرجل الذي لديه مهارة حل الألغاز لم يستطع حل لغز حياته (*σὺ ταῦτ' ἄριστος εὑρίσκειν ἔφυς*، البيت ٤٤٠)، وعندما يحذره أوديبوس ألا يهين مصدر عظمته (*Τοιαῦτ' ὀνείδιζ' οἷς ἔμ' εὑρήσεις μέγαν*، البيت ٤٤١)، يرد عليه العراف أن عظمته هى التى دفعت القدر لتدميره (*Αὕτη γε μέντοι σ' ἡ τύχη διώλεσεν*، البيت ٤٤٢). فكبريائه وعظمته وتباهيه أنه يعرف كل شئ ورطه فى الاندفاع وارتكاب جريمة قتل والده. ويتنبأ العراف قبل خروجه

Buxton, "Blindness and Limits: Sophokles and the Logic of Myth", p. 24.

(1) Goldhill, *Reading Greek Tragedy*, p. 217.

(2) D. Berthold-Bond; "Hegel on Madness and Tragedy", *HPhQ* 11 no. 1 (1994), p. 77.
يؤيد D. Berthold-Bond أن أوديبوس كان ممزقا بين ما يعرفه وما يجهله عن هويته الحقيقية، فقد كان خاضعا للعنة مزدوجة يرافقها ظلام عينيه؛ فهو لا يعرف أين يعيش ومع من يعيش.

(3) Buxton; "Blindness and Limits: Sophokles and the Logic of Myth", p. 24.

(٤) يعلق P. W. Harsh إن الدافع المسيطر على مشهد أوديبوس والعراف هو المقارنات بين العمى والرؤية، الظلام والنور، الحكمة والجهل، فأوديبوس الذي يقول إنه مشهور للجميع لحكمته (البيت ٨)، هو نفسه الذي، عندما يشير إلى العراف، يعمل علاقة بين حكمة العراف وعماه. فالمشهد مملوء بإشارات عن العمى والجهل، الرؤية والحكمة، ويركز بصورة أكثر على جهل أوديبوس بنفسه وأصله (الأبيات ٣٦٧، ٤١٥).
P. W. Harsh; "Implicit and Explicit in the *Oedipus Tyrannus*", *AJPh* 79 no. 3 1958, p. 250.

بالتحولات في حياة أوديبوس؛ فهو يرى ولكنه سيفقد بصره (*τυφλὸς γὰρ ἐκ δεδορκότος*، البيت ٤٥٤)، عظيم الثراء ولكنه سيصبح فقيرا (*πτωχὸς ἀντὶ πλουσίου*، البيت ٤٥٥)،[١] وسيمشي إلى منفاه في أرض أجنبية يتحسس طريقه بعصاه (*ξένην ἐπισκήπτρῳ προδεικνὺς γαῖαν ἐμπορεύσεται*، البيت ٤٥٥ وما يليه)، وسيكون معروفا للجميع بأنه أخ وأب للأولاد الذين يعيشون معه (*ἀδελφὸς αὑτὸς καὶ πατήρ*، البيت ٤٥٨)، وزوج وابن لنفس المرأة التي أنجبته (*γυναικὸς υἱὸς καὶ πόσις*، البيت ٤٥٩)، وابن وقاتل لأبيه في الوقت نفسه (*τοῦ πατρὸς ὁμοσπόρος τε καὶ φονεύς*، البيت ٤٥٩ وما يليه).[٢] وهكذا صاحب التحول، في حالة أوديبوس من الجهل إلى المعرفة، كثير من المصائب؛ فبعد أن رافق البصر عمى الجهل، صاحب المعرفة العمى الحسي، الفقر، النفي، الدنس، ارتكاب المحارم واختلاط الدماء.

وبعد ذلك يتهم أوديبوس كريون بأنه يتأمر ضده، ويستفسر كريون من قائد الكورس هل أوديبوس اتهمه وهو مستقيم النظر والتفكير (*Ἐξ ὀμμάτων δ' ὀρθῶν τε κἀξ ὀρθῆς φρενὸς*، البيت ٥٢٨ وما يليه). تثير هذه الكلمات التهكم أيضا؛ حيث تبرز مشكلة أوديبوس التي أدت إلى معاناته؛ فقد كان بصيرا ولكنه أعمى عن حقيقة دنسه، كما أنه بكامل قواه العقلية ولكنه لم يفكر بصورة سليمة في امكانية تحقيق النبوءة وقتل والده.[٣] ويعلق بعد ذلك كريون على حالة الاضطراب العقلى التى تنتاب أوديبوس بعد أن عرف الحقيقة من العراف، فهو لا يراه يحسن التعقل والحكمة (*Οὐ γὰρ φρονοῦντά σ' εὖ βλέπω*، البيت ٦٢٦).[٤] وعندما تروي يوكاستا لأوديبوس قصة قتل زوجها لايوس على يد لصوص، ومن ثم لم يقتل الابن والده خلاف ما جاء فى نبوءة دلفى، يثير هذا الشك في نفس أوديبوس مصرحا أن هذه القصة جعلته يهذى وتوقف عقله عن التفكير (*ψυχῆς πλάνημα κἀνακίνησις φρενῶν*، البيت ٧٢٦ وما يليه). تؤكد التعبيرات هنا أن أوديبوس بالرغم من أنه بصيرا فإنه أصبح عاجزا عن التفكير.[٥]

---

(1) Ελ-Ανούαρ Φ.Χ., *Η έννοια του πλούτου στις τραγωδίες του Ευριπίδη* (Diss. Ioannina 1998), p. 68.

(٢) يعلق G.Devereux ("The Self-Blinding: of Oidipous in Sophokles: *Oidipous Tyrannos*", *JHS* 93 1973, p. 37) إن العراف هو الوحيد الذي يعرف الجريمة المزدوجة لأوديبوس (قتل الأب، زواج المحارم)، ولكنه لم يعمل تلميحا لإعماء أوديبوس لنفسه. وقد جاء العمى بوصفه عقابا أو قصاصا على سفاح المحارم الذي ارتكبه أوديبوس. أنظر أيضا:
L.Silberman, "God and Man in "*Oedipus Rex*", *College Literature* 13 no. 3 (1986), p. 293.

(٣) يعلق T. B. L.Webster ("Some Psychological Terms in Greek Tragedy" *JHS* 77 part 1 1957, p. 153) – ضمن تفسيره للمصطلح "*φρήν*" في البيت ٥٢٨– أن أوديبوس اتهم كريون على المستوى البصري والعقلي. أنظر أيضا:
Champlin, "*Oedipus Tyrannus*" and the Problem of Knowledge", p. 339.

(4) Champlin, "*Oedipus Tyrannus*" and the Problem of Knowledge", p. 340.

(5) J. Gregory, "The Encounter at the Crossroads in Sophocles' *Oedipus Tyrannus*", *JHS* 115 (1995), pp. 141-142.

ويؤكد أوديبوس بنفسه أنه كان يجهل ما يحدث له؛ حيث يصرح أن اللعنة نزلت عليه منذ زمن وبدون علمه (*ἔοικ' ἐμαυτὸν εἰς ἀρὰς δεινὰς προβάλλων ἀρτίως οὐκ εἰδέναι*، البيت ٧٤٤ وما يليه).[١] يوضح التعبير "*οὐκ εἰδέναι*" (دون أن يعرف) بالدقة أن أوديبوس بالرغم من بصيرته فإنه أعمى من ناحية معرفة حقيقته. ولذا يطلب أوديبوس من يوكاستا أن تبصره بما لديها من معلومات (البيت ٧٤٧ وما يليه)؛ فهو يخاف جدا من عدم معرفة العراف للحقيقة (*Δεινῶς ἀθυμῶ μὴ βλέπων ὁ μάντις ἦ*، البيت ٧٤٤)، لذا يطلب منها أن تزوده بمعلومات أخرى ولو بكلمة واحدة (*Δείξεις δὲ μᾶλλον, ἢν ἓν ἐξείπῃς ἔτι*، البيت ٧٤٥) عن عدد المرافقين للملك (الأبيات ٧٥٠-٧٥٣).[٢] توضح التعبيرات "*Δείξεις δὲ μᾶλλον*، *ἓν ἐξείπῃς*" مدى جهل أوديبوس لحقيقة الأمور.

وبعد ذلك يؤنب أوديبوس نفسه على جريمته (الأبيات ٨٢٨-٨٣٣)؛ ويصرح أنه لا يوجد أحد سيدافع عنه وحتى لو علم أن قدره بسبب إله قاس (*ὠμοῦ δαίμονός*، البيت ٨٢٨)، ويدعو الآلهة المقدسة ألا تجعله يرى هذا اليوم (*Μὴ δῆτα, μὴ δῆτ', ὦ θεῶν ἁγνὸν σέβας, ἴδοιμι ταύτην ἡμέραν*، البيت ٨٣٠ وما يليه)، ويتمنى أن يُمحى من الأرض قبل أن يرى ثمار لعنته (*πρόσθεν ἢ τοιάνδ' ἰδεῖν κηλῖδ'*، *μὴ δῆτ' ἴδοιμι*، البيت ٨٣٢ وما يليه).[٣] توضح التعبيرات "*ἐμαυτῷ συμφορᾶς ἀφιγμένην πρόσθεν ἰδεῖν*" عدم استمتاع أوديبوس ببصيرته، فهو لا يريد أن يري بعينيه ثمار لعنته ويموت قبل مجيء هذا اليوم، وهذا بالطبع يمهد لمشهد إعماء بصره الذي سيأتي بعد قليل.

يعمم الكورس الأحداث ويتخذ من مأساة أوديبوس نموذجا للتدهور الأخلاقي للإنسان (الأبيات ٨٧٢-٨٧٨)؛ مصرحا أن الغطرسة والكبرياء يلدا الطغيان (*῞Υβρις φυτεύει τύραννον*)[٤]، وعندما تتجاوز

---

(١) عن موضوع اللعنة فى مسرحية أوديبوس ملكا، وبصفة خاصة في البيت ٧٤٤ وما يليه، أنظر:
M. Dyson; "Oracle, Edict, and Curse in *Oedipus Tyrannus*", *CQ* n.s. 23 no. 2 (1973), p. 208.

(٢) يعلق Champlin ("*Oedipus Tyrannus*" and the Problem of Knowledge", p. 340) أن أوديبوس يصل إلى اللحظة المأسوية لتدهور معرفته وإبراز جهله.

(٣) بخصوص الأبيات ٨٣٠-٨٣٣ من مسرحية أوديبوس ملكا، يعلق D.L.Cairns (*AIDOS*. The Psychology and Ethics of Honour and Shame in Ancient Greek Literature. Oxford University Press 1993, p. 217) أن اقتناع أوديبوس أنه غير قادر على تحمل منظر مثل هذا الدنس الذي يعيش فيه له علاقة برغبته في الاختفاء من أمام أنظار الآخرين، وكلامه هذا له صدى مع ما يقوله في الأبيات ١٣٨٤-١٣٨٥؛ عندما ظهر مرة ثانية وهو أعمى يبرر إعمائه لنفسه؛ حيث إنه غير قادر على النظر في عيون الآخرين (والديه في هاديس وأبنائه في طيبة). ويصرح Dyson ("Oracle, Edict, and Curse in *Oedipus Tyrannus*", p. 210) أن أوديبوس يظهر في هذه الأبيات بوصفه ألعوبة في يد الآلهة، فهو ضحية مجهولة الهوية، بريئة أخلاقيا، مقهورة بطغيان قوة غاشمة.

(٤) عن علاقة الإساءة والطغيان "*῞Υβρις φυτεύει τύραννον*"، يعلق J. C. Kamerbeek ("Comments on the Second Stasimon of the *Oedipus Tyrannos*," *WS* 79 1966, pp. 80-92) أن الكورس يبرز هنا مخاوفه أن أوديبوس، إذا كان مذنبا وصدق كلام يوكاستا عن رفضها للنبوءات، ربما يتجاهل لعنته وتدنيس المدينة، ويحتفظ بعرشه ويصبح طاغيا حقيقيا. أنظر أيضا:
M.White, "Greek Tyranny", *Phoenix* 9 no. 1 (1955), p. 3. R. Scodel, "Hybris in the Second Stasimon of the *Oedipus Rex*", p. 220. N.R.E.Fisher, "Hybris' and Dishonour: II", *G&R* 26 no. 1 (1979), pp. 41-

الإساءة الحدود في الحماقة (*ὕβρις, εἰ πολλῶν ὑπερπλησθῇ μάταν*، البيت ٨٧٢ وما يليه)، تكون غير مناسبة وليست مفيدة لصاحبها (*ἃ μὴ 'πίκαιρα μηδὲ συμφέροντα*، البيت ٨٧٤)، وعندما تصل إلى أقصاها، تنحدر فجأة بصاحبها إلى هوة الشقاء (*<ἄφαρ> ἀπότομον ὥρουσεν εἰς ἀνάγκαν*، البيت ٨٧٦) دون أن تجد له مخرجا (*ἔνθ' οὐ ποδὶ χρησίμῳ χρῆται*، البيت ٨٧٧ وما يليه).[١] فالكبرياء يؤدي إلى الحماقة والعمى العقلي، الذي يؤدي بدوره إلى ارتكاب الإساءة المتجاوزة الحد "*ὕβρις*" ضد الآخرين، ومن ثم يقابل هذا بالعقاب الإلهي الذي يودي بالإنسان إلى المعاناة والشقاء مثل حالة أوديبوس.[٢]

ونجد قمة التهكم الدرامي عندما يتمنى الرسول، الذي لا يعرف هو أيضا حقيقة الأمور، السعادة (*ὀλβία*) ليوكاستا لتعيش بين قوم سعداء (*ξὺν ὀλβίοις*)، ويصفها بالزوجة الكاملة (*παντελὴς δάμαρ*) للملك أوديبوس (البيت ٩٢٩ وما يليه). تتعارض هنا مصطلحات السعادة "*παντελὴς، ὀλβίοις، ὀλβία*" مع الموقف المحزن لكل من المدينة والزوجة والزوج. ويستمر الرسول في كلماته التي تثير التهكم، عندما يصرح ليوكاستا أنه يحمل أنباء حسنة (*Ἀγαθὰ*) لقصرها ولزوجها (*δόμοις τε καὶ πόσει*، البيت ٩٣٤).[٣] ومن المؤكد أيضا أن مصطلح "*Ἀγαθὰ*" يتعارض مع أحداث المسرحية، حيث يعتقد الرسول أنه بموت الوالد المزيف لأوديبوس، يكون قد تحرر من لعنة النبوءة. ويعد الرسول هنا شخصية أخرى بصيرة، ولكنها عمياء تجهل حقيقة الأمور. يفرح أوديبوس بهذا الخبر، فقد تحرر من لعنته ويعتقد أن والده المزيف بوليبوس قد هبط إلى دار الموتى حاملا معه وحي الآلهة، ومن ثم بالنسبة له لا يعني الوحي شيئا (البيت ٩٧١ وما يليه). وهكذا لا يزال أوديبوس ينتابه العمى البشري عن حقيقة الأحداث، ويصرح أنه بهذا الخبر قد عرف الحقيقة ولكن الخوف لا يزال يضلله (*Ἡὔδας· ἐγὼ δὲ τῷ φόβῳ παρηγόμην*، البيت ٩٧٤).

ويعد الخوف أحد الدوافع لعمى أوديبوس وشكه في الحقيقة، فحتى الآن لم يصل إلى الحقيقة، وهذا ما جعله يبتعد عن سرير الزوجية؛ خشيةً أن يكون سرير أمه (*πῶς τὸ μητρὸς λέκτρον οὐκ ὀκνεῖν με δεῖ;*،

---

42. T.Gould, "The Innocence of Oedipus: The Philosophers on *Oedipus the King*: I" , *Arion* 4, no. 4 (1965), p. 599.; L. Silberman, "God and Man in "*Oedipus Rex*", p. 297.

(١) عن الأبيات ٨٧٢–٨٧٨ من مسرحية أوديبوس ملكا، ومفهوم المصطلح "*ὕβρις*" في علاقة مع خطيئة أوديبوس، أنظر:
R. Scodel; "Hybris in the Second Stasimon of the *Oedipus Rex*" (*CPh* 77 no. 3 (1982), pp. 215-216.; P. H. Vellacott, "The Guilt of Oedipus", (*G&R* 11 no. 2 (1964), p. 139.

وعن هذا الموضوع، أنظر ايضا:
C. M. Bowra, *Sophoclean Tragedy* (Oxford, 1944), p. 165; R. Lattimore, *The Poetry of Greek Tragedy* (Baltimore, 1958), pp. 93-97; R. P. Winnington-Ingram, *Sophocles:An Interpretation* (Cambridge, 1980), pp. 179-204; R. Scodel, "The Second Stasimon of *Oedipus Tyrannos*" *JHS* 91 (1971) 119-35); R. W. B. Burton, *The Chorus in Sophocles' Tragedies* (Oxford, 1980), pp. 156-57.; B. Knox, *Oedipus at Thebes* (New Haven 1957), p. 57.

وعن مفهوم المصطلح "*ὕβρις*" عند سوفوكليس بصفة عامة، أنظر:
N. R. E. Fisher, *HYBRIS. A Study in the Values of Honor and Shame in Ancient Greece* (Aris & Phillips 1992), pp. 298-342.

(٢) قارن البيت ٣٨٠ وما يليه من مسرحية أوديبوس ملكا (*Ὦ πλοῦτε καὶ τυραννὶ καὶ τέχνη τέχνης ὑπερφέρουσα*)، حيث تقود الثروة إلى الإساءة، فالشبع قد يؤدي بدورة إلى الحماقة والدمار. أنظر:
R. Scodel; "Hybris in the Second Stasimon of the *Oedipus Rex*", pp. 215-216.; R. Doyle, "*ΟΛΒΟΣ, ΚΟΡΟΣ*, and *ΑΤΗ* from Hesiod to Aeschylus," *Traditio* 26 (1970) 293-303).

(3) R. M. Newton, "Oedipus' Wife and Mother", *CJ* 87 no. 1 (1991), p. 42.

البيت ٩٧٦)، وهو بهذا اقترب من معرفته للحقيقة. وقد كان الخوف دافعا لأوديبوس لإقصاء نفسه عن مدينة بوليبوس والده المزيف، مثلما يصرح الرسول (*Ἦ γὰρ τάδ' ὀκνῶν κεῖθεν ἦσθ' ἀπόπτολις;*، البيت ١٠٠٠) الذي يؤكد أنه أتى لكي يخلص الملك أوديبوس من خوفه (*Τί δῆτ' ἐγὼ οὐχὶ τοῦδε τοῦ φόβου σ', ἄναξ,... ἐξελυσάμην;*، البيت ١٠٠٢ وما يليه)، وينتقد الملك بأنه من الواضح أنه لم يكن يعرف ما يصنع (*Ὦ παῖ, καλῶς εἶ δῆλος οὐκ εἰδὼς τί δρᾷς*، البيت ١٠٠٨)، فلا شك أن خوف أوديبوس من لعنته ضلله عن سواء السبيل، وجعله يترك والده المزيف حتى لا يقتله ليلتقي بوالده الحقيقي ويقتله. ويلعب التعبير "*οὐκ εἰδὼς τί δρᾷς*" (لا يعرف ما يعمل) دورا مهما في إبراز عدم معرفة أوديبوس؛ فمشكلته التي جعلته أعمى التفكير هو أنه كان يعمل بدون معرفة. وعندما تطلب يوكاستا من أوديبوس أن يتوقف عن البحث من أجل حياته الخاصة ومن أجل شقائها هي نفسها *Μή εἴπερ τι τοῦ σαυτοῦ βίου κήδῃ,...ἅλις νοσοῦσ' ἐγώ*، البيت ١٠٦٠ وما يليه)، صور له عماه العقلي أنها تريد ذلك خشيةً أن يتضح أنه ابن آمة، فيجلب لها العار (*μητρὸς φανῶ τρίδουλος,* *ἐκφανῇ κακή*، البيت ١٠٦٣)؛ فخوفه من جرمه في حق والده ووالدته دفعه إلى عماه عن حقيقة نسبه، وجعله يفضل أن يكون من أصل وضيع وحتى لو جلب له هذا العار؛ فهو بالنسبة له أفضل من دنس جرائمه.(١)

ومرة ثانية تتوسل يوكاستا إلى أوديبوس أن يطيعها ويتوقف عن البحث (*Ὅμως πιθοῦ μοι, λίσσομαι·* *μὴ δρᾶ τάδε* البيت ١٠٦٤)، ولكنه يرفض طاعتها ويصر على بحثه حتى يعرف الحقيقة بوضوح (*Οὐκ ἂν πιθοίμην μὴ οὐ τάδ' ἐκμαθεῖν σαφῶς*، البيت ١٠٦٥). ولاشك أن التعبير " *τάδ' ἐκμαθεῖν σαφῶς*" يتناقض مع حالة الجهل التي تجتاح أوديبوس بخصوص حقيقة حياته، ولكنه قد يتفق الآن مع سلوك أوديبوس تجاه الرغبة في المعرفة؛ تلك الرغبة التي ستحوله من أعمى إلى بصير بالأحداث. وعندما تحاول يوكاستا أن تقنعه أنها تفكر من أجل صالحه، وتقول له أفضل النصائح (*τὰ λῷστά σοι λέγω*، البيت ١٠٦٦)، يرفض هذه النصائح معتقدا أنها تؤذيه وتضلله عن هدفه (*Τὰ λῷστα τοίνυν ταῦτά μ'* *ἀλγύνει πάλαι*، البيت ١٠٦٧)، في إشارة أخرى لاستمرار حالة عماه عن الحقيقة، وهنا تصفه يوكاستا بالشقي ذي المصير التعيس (*Ὦ δύσποτμε*)، وتتمنى ألا يعلم أبدا من هو (*εἰθε μήποτε γνοίης ὃς εἶ*، البيت ١٠٦٨).(٢) ويلعب التعبير "*μήποτε γνοίης ὃς εἶ*" (لا يعلم أبدا من هو) دورا مهما بالنسبة لأحداث المسرحية وهذا البحث أيضا؛ حيث يوضح بدقة أن أوديبوس البصير أعماه القدر طوال أحداث المسرحية عن معرفة هويته، وعندما سيصل إلى الحقيقة، سيتمنى ألا يعرف من هو ولا الدنس الذي يعيش فيه؛ قالتها له أمه قبل أن يقولها هو. وتؤكد يوكاستا تعاسة أوديبوس بتكرار نفس الصفة "ذو المصير التعيس" (*δύσποτμε*، البيت ١٠٧١)، وكأنها تستعرض حياة أوديبوس أمامها في هذه الصفة ثم تخرج صامتة، فقد أصبحت يوكاستا بصيرة بحقيقة حياتها مع ابنها/ زوجها، بينما لا يزال أوديبوس أعمى بجهله عن هذه

---

(1) Newton, "Oedipus' Wife and Mother", p. 42.

(٢) يعلق Garrison أن يوكاستا تعرف كل شئ عن الحقيقة، بينما لا يستطيع أوديبوس أن يتوقف عن إصراره في البحث عن الحقيقة. Garrison *Groaning Tears: Ethical and Dramatic Aspects of Suicide*, p. 109; Berthold-Bond, "Hegel on Madness and Tragedy", pp. 77-78.; Champlin, "*Oedipus Tyrannus*" and the Problem of Knowledge", pp. 340-341.

الحقيقة.[١] فعندما يعلق الكورس أن يوكاستا يملؤها الحزن الفظيع (*ὑπ' ἀγρίας ᾄξασα λύπης*) ويبدي مخاوفه لأوديبوس أن ينفجر هذا الصمت إلى شر عظيم (*τῆς σιωπῆς τῆσδ' ἀναρρήξει κακά*، الأبيات ١٠٧٣-١٠٧٥)، يعتقد أوديبوس أن يوكاستا تفكر بكبرياء بوصفها امرأة عظيمة (*φρονεῖ γὰρ ὡς γυνὴ μέγα*، البيت ١٠٧٧)، وتخجل من وضاعة أصله (*τὴν δυσγένειαν τὴν ἐμὴν αἰσχύνεται*، البيت ١٠٧٨).[٢] ويثير أوديبوس التهكم الصارخ عندما يبدي سعادته باكتشاف نسبه الوضيع الذي لا يستطيع أن يغيره، فهو لن يتوقف عن البحث عن حقيقة أصله (*ὥστε μὴ 'κμαθεῖν τοὐμὸν γένος*، البيت ١٠٨٥).[٣] اقترنت السعادة هنا بالاكتشاف المزيف لوضاعة أصله "*ἐκμαθεῖν τοὐμὸν γένος*"؛ ففي قرار نفسه أى شئ يكون هينا عن حقيقة أنه يعيش في دنس المحارم.[٤] ويلعب الفعل "*ἐκμαθεῖν*" دورا مهما في موضوع البحث؛ حيث يتناقض بصورة تهكمية مع حالة الجهل التي يعيشها أوديبوس.[٥]

وعندما يكتشف أوديبوس الحقيقة (*τὰ πάντ' ἂν ἐξήκοι σαφῆ*، البيت ١١٨٢)، يندب حظه ويخاطب نور الحياة (*Ὦ φῶς*): أنه ربما سيراه لأخر مرة الآن (*τελευταῖόν σε προσβλέψαιμι νῦν*، البيت ١١٨٣)، فكان يجب ألا يُولد ممنْ ولد منها، وألا يعاشر من عاشرها، وألا يقتل من قتله (البيت ١١٨٤ وما يليه).[٦] يوضح التعبير "*τελευταῖόν σε προσβλέψαιμι*" عدم أهمية رؤية النور بالنسبة لأوديبوس، فقد كان يري النور ولكنه لا يرى حقيقة ما يحيك له القدر من مصائب، فقد كان بصيرا ولكن أعمى عن حقيقته؛ ومن

---

(١) يستند Goldhill (*Reading Greek Tragedy*, p. 216) على كلمات يوكاستا في البيت ١٠٧١ وما يليه، ليقارن بين بصيرة يوكاستا وعمى وجهل أوديبوس.

(٢) يعلق Newton ("Oedipus' Wife and Mother", p. 44) أن أوديبوس يقرأ دوافع يوكاستا بالأخلاقيات التي تشكل دائما علاقتهما؛ فمن ناحية تتكلم يوكاستا بوعي مفاجئ يظهر استنكارها لحقيقة الدنس الذي تعيش فيه، بينما يفهم أوديبوس دوافعها بصورة خاطئة، ويعبر بصورة تهكمية عن طبيعة علاقتهما. فقد وصل الاثنان إلى مأزق خطير؛ فكلاهما يعمل في مستويين للإدراك مختلفين ومتناقضين، ومن المستحيل أن يتواصلا معا في الكلام والعمل، لذا تركت المسرح. أنظر أيضا:
Cairns, *AIDOS*. The Psychology and Ethics of Honour and Shame, p. 301.; K.Synodinou, *On the Concept of Slavery in Euripides* (The University of Ioannina 1977), p. 82.

(٣) يوضح Versényi ("Oedipus: Tragedy of Self-Knowledge", p. 25) أن مسرحية أوديبوس ملكا هي مسرحية الإنجازات الفردية للبطل، فهو يقوم بالبحث الذاتي والكشف الذاتي عن الأحداث وبالمعرفة الذاتية يصل إلى الحقيقة ويحدث له انعكاس ذاتي يتبعه تدمير ذاتي.

(٤) عن إصرار أوديبوس على عدم إنكار أصله مهما كانت نتيجة بحثه عن حقيقة نسبه، أنظر:
R.L.Kane; "*Oedipus Tyrannus*, 1084-85: "I'll not Deny my Nature?"" *AJPh* 103 no. 2. (1982), pp. 137-143.

(٥) عن التهكم الدرامي في اعتقاد أوديبوس أن حزن وصمت يوكاستا بسبب اكتشافها حقيقة أنه من أصل وضيع (الأبيات ١٠٧١-١٠٨٥) J.W.Hewitt; "An Unobserved Bit of Sophoclean Irony", (*CPh* 25 no. 4 1930), p. 383.

(٦) أنظر: Garrison, *Groaning Tears: Ethical and Dramatic Aspects of Suicide*, p. 110. ويعلق P.J.Ahrensdorf ("The Limits of Political Rationalism: Enlightenment and Religion in *Oedipus the Tyrant*", *JP* 66 n. 3 2004, p. 795) أن كلمات أوديبوس في الأبيات ١١٨٣-١١٨٥ تشير بوضوح أنه يعاقب نفسه لجرائمه غير المعقولة والظالمة؛ إنه يلوم نفسه ليس فقط لزواج المحارم وقتل الأب، ولكن أيضا لإنجابه أطفالا من هذا الزواج.

ثم اكتشف أن بصره ليس له أهمية، وتصريحه أنه قد يرى النور لآخر مرة يمهد لإقدامه بعد ذلك على إطفاء نور عينيه.

لعبت تعبيرات الرؤية والمعرفة دورا جوهريا بوصفها قوى محركة للتورية والانعكاس. فنجد أوديبوس يكرر تعبيرات ادعاءات المعرفة ومقدرته على توضيح الأمور وهذا أثناء بحثه عن المعلومات المؤكدة والسريعة سواء عن سبب الوباء في المدينة أو عن قاتل الملك، إلا أنه عندما عرف الحقيقة وجد أن كل ادعاءاته زائفة وأصبحت كل مزاعمه بالمعرفة زائفة.(١) فمسرحية "أوديبوس ملكا" تعبر عن التصادم بين الوعي واللاوعي، بين ماهو واضح وماهو غامض، بين الأعمال الإرادية واللاإرادية.(٢)

ويصف الخادم حالة أوديبوس في أول ظهور له بعد معرفته للحقيقة؛ إنه غائب الوعي يهذي (*ἀλλ' εἰς ἐκεῖνον περιπολοῦντ' ἐλεύσσομεν*، البيت ١٢٥٤). وبمجرد أن يرى أمه/زوجته وقد خنقت نفسها، ينتزع مشابك شعرها ويدفعها في عينيه (الأبيات ١٢٦٨-١٢٧١)، صائحا أنه لن يرى (*ὀθούνεκ' οὔθ' οἵ' ἔπασχεν οὔθ' ὁποῖ'* البيت ١٢٧١) شقائه ولا سيئاته بعد الآن (*οὐκ ὄψοιντό νιν ἀλλ'* البيت ١٢٧٢).(٣) ثم يخاطب عينيه: أنهما سيصبحان في ظلام (*ἔδρα κακά، οὓς μὲν οὐκ ἔδει*) حتى لا يريان ما كان يجب أن يراه (*ἐν σκότῳ τὸ λοιπὸν* البيت ١٢٧٣) وما يليه)، ولا يعرفان ما يريد أن يعرفه (*οὓς δ' ἔχρῃζεν οὐ γνωσοίατο ὀψοίαθ'*، البيت ١٢٧٣ وما يليه)

---

(١) عن تعبيرات الرؤية والمعرفة في مسرحية أوديبوس ملكا، يوضح Goldhill (*Reading Greek Tragedy*, p. 216). في البداية يوعد أوديبوس أنه سيوضح الأمور (*ἐγὼ φανῶ τἀφανῆ*، البيت ١٣٢) التي كانت غامضة (*αὔτ'*، البيت ١٣١)، وتوعده يوكاستا أن تكشف له دلائل أن التنبؤات ليست دائما صحيحة (*φανῶ δέ σοι σημεῖα*، البيت ٧١٠). ويقسم أوديبوس أنه سيعرف دلائل نسبه (*σημεῖα τοιαῦτ' οὐ φανῶ τοὐμὸν γένος*، البيت ١٠٥٩)، ويتكهن العراف أن القاتل سيتضح أنه من أهل طيبة (*ἐγγενὴς φανήσεται Θηβαῖος*، البيت ٤٥٢ وما يليه). وبالرغم من ذلك وجد أوديبوس أن تكهنات العراف ليست واضحة (*κἀσαφῆ λέγεις*، البيت ٤٣٩)، وفي لحظة التعرف، ينهي أوديبوس بحثه عن الوضوح والتأكد في رعب مصرحا أن كل شئ أصبح واضحا (*τὰ πάντ' ἂν ἐξήκοι σαφῆ*، البيت ١١٨٢). ولكن في هذه اللحظة التي فيها اتضحت الحقيقة، يواصل الملك حديثه ويناشد ضوء الشمس ألا يرى النور مرة ثانية بعد اليوم (*Ὦ φῶς, τελευταῖόν σε προσβλέψαιμι νῦν*، البيت ١١٨٣).

(٢) يؤيد Berthold-Bond أن أوديبوس سيطر عليه في هذه المسرحية معاناة سلطان عدم الفهم؛ فهو يعاني بسبب ظلام الجهل وقوة اللاوعي. Berthold-Bond; Hegel on Madness and Tragedy", pp. 76-77.

(٣) يعلق Devereux على إعماء أوديبوس لنفسه ("The Self-Blinding: of Oidipous in Sophokles", pp. 37, 48-49) أن عمى أوديبوس لنفسه جاء بوصفه عقابا لنفسه على زنا المحارم الذي ارتكبه، وما يؤكد ذلك إعماء عينيه بمشابك شعر أمه/زوجته. فعمى أوديبوس يظهر بوصفه نوعا من أنواع الجنون التي لها صلة بسفاح المحارم أكثر من كونها بسبب جريمة قتل الأب. ولكن بالرغم من أن عمى المجرم ونفيه لم يتطلبه وحي دلفي، إلا أن هذا لا يعني أن العمى لم يأتي بوصفه جزءا من عقاب أوديبوس على جريمة قتل الأب. أنظر أيضا:

M.Huys, *The Tale of the Hero who was exposed at birth in Euripidean Tragedy: A Study of Motifs* (Leuven University Press 1995), p. 235.; Champlin, "*Oedipus Tyrannus*" and the Problem of Knowledge", p. 341.

οὐκ ἔδει ، ἐν σκότῳ ، ἔδρα κακά ، ἔπασχεν ، οὐκ ὄψοιντό" ١٢٧٤).[١] ولاشك أن التعبيرات
οὐ γνωσοίατο ، ὀψοίαθ'" لها أهمية كبيرة لتوضيح دوافع أوديبوس لإعماء نفسه؛ فلم تساعده عيناه وبصيرته في مواجهة نبوءة دلفي، ولم تمنعه من الوقوع في دنس قتل الأب وزواج المحارم من الأم، لذا وجد أن بصيرته ليست لها أي فائدة ويجب أن يفقد نور عينيه حتى لا يرى ثمار دنسه وشروره، وحتى لا يشاهد أيضا نظرات الاشمئزاز أو الشفقة في عيون من حوله، فأراد أن يكون أعمى بدلا من أن يكون بصيرا بمفهوم حسي وليس معرفي.

ولكن أوديبوس، مثلما كان تعيسا بعماه المعرفي، الآن أيضا ليس سعيدا بعماه الحسي، حيث يخاطب السحاب المظلم البغيض الذي سقط عليه (σκότου νέφος ἐμὸν ἀπότροπον, ἐπιπλόμενον ἄφατον، البيت ١٣١٣ وما يليه)، ويصفه بأنه لا يُقهر ولا يعرف السعادة (ἀδάματόν τε καὶ δυσούριστόν <μοι>، البيت ١٣١٥).[٢] يرمز التعبير "σκότου νέφος" إلى عمى أوديبوس، ووصف سحابة الظلام بالتعبيرات "ἀδάματόν ، δυσούριστόν" يشير إلى حالة أوديبوس ومصيره المظلم التعيس الذي لا يقهر، ولكنه مضطر أن يعيشه بعيدا عن رؤية ثمار لعنته، فقد ربط أوديبوس هنا بين آلامه ورعب الظلام وعماه المجبر عليه.[٣]

وربما نجد بداية التحول في حالة أوديبوس من البصير الأعمى إلى الأعمى البصير، عندما يتعرف على قائد كورس نبلاء طيبة من صوته، ويصرح أنه بالرغم من ظلام عينيه (καίπερ σκοτεινός)، فإنه يعرفه جيدا (ἀλλὰ γιγνώσκω σαφῶς) ويعرف صوته بوضوح (البيت ١٣٢٥ وما يليه). ورغم أنه أعمى فإنه يعرف ويميز بين الأصوات في بداية للحالة الجديدة التي سيعيشها أوديبوس: يعيش في ظلام عماه ولكنه يعرف حقيقة الأمور. وعندما يسأله الكورس عن كيف وجد الشجاعة لإطفاء نور عينيه (πῶς ἔτλης τοιαῦτα σὰς ὄψεις μαρᾶναι;)، وما القوة الإلهية التي دفعته لذلك (τίς σ' ἐπῆρε δαιμόνων;، البيت ١٣٢٧ وما يليه)، يرد عليه أوديبوس أن أبوللون هو مصدر شروره ومعاناته (κακὰ τελῶν ἐμὰ τάδ' ἐμὰ πάθεα، البيت ١٣٣٠)[٤]، ولكنه هو الذي أطفأ عينيه بنفسه (البيت ١٣٣١ وما يليه)، ويعلل ذلك بأنه لماذا يجب عليه أن

---

(١) يوضح Berthold-Bond ("Hegel on Madness and Tragedy", p. 78) أن أوديبوس كان يلتصق بإصرار بحقوقه في الفهم والوعي، ولكن أعماله في سبيل الفهم تتعرض لقوة مضادة هي قوة اللاوعي التي دمرته في النهاية. وبخصوص الأبيات ١٢٧١-١٢٧٤ من مسرحية أوديبوس ملكا، أنظر:

A.Parry, "Sophocles, *Oedipus Rex* 1271-4", *CQ* n.s. 10, no. 2 (1960), pp. 268-27.; T.Gould, "The Innocence of Oedipus: The Philosophers on *Oedipus the King*: I" , *Arion* 4, no. 3 (1965), p. 383.

(2) Berthold-Bond, "Hegel on Madness and Tragedy", p. 92.

(3) Goldhill, *Reading Greek Tragedy*, p. 219.

(٤) يوضح L. S. Colchester ("Justice and Death in Sophocles", *CQ* 36 (1942), p. 22) أن سوفوكليس لا يجعل أوديبوس مذنبا؛ فهو يهاجم بإصرار الإله المتسبب في لعنة أوديبوس. ولكن قارن J.Gibert ("Apollo's Sacrifice: The Limits of a Metaphor in Greek Tragedy", *CPh* 101 2003, p. 198)؛ حيث يصرح أن كلمات أوديبوس بخصوص أن الإله أبوللون سبب معاناته لا تعني أنه يرى نفسه بمثابة ضحية الإله. وأنظر أيضاً.

Dyson, "Oracle, Edict, and Curse in *Oedipus Tyrannus*", p. 211.; G. Kendall "The Sin of Oedipus" *CR* 25 no. 7 1911, p. 196.; Gould, "The Innocence of Oedipus: The Philosophers on *Oedipus the King*: I", p. 379.; Idem, "The Innocence of Oedipus: The Philosophers on *Oedipus the King*: II", p. 586.

يبصر (*Τί γὰρ ἔδει μ' ὁρᾶν ὅτῳ γ'*، البيت ١٣٣٤)، طالما محتوم عليه ألا يرى شيئا حلوا (*ὁρῶντι μηδὲν ἥν ἰδεῖν γλυκύ;*، البيت ١٣٣٥).[١] توضح التعبيرات السابقة أن البصر ليس له فائدة طالما لا يُرى به إلا المصائب والدنس، ولذا فضل أوديبوس أن يعيش أعمى حتى لا يرى آثامه.[٢]

وينتقد الكورس رغبة أوديبوس في العمى، ويقول له إن الموت أفضل من العيش ضريرا (*κρείσσων γὰρ ἥσθα μηκέτ' ὢν ἢ ζῶν τυφλός*، البيت ١٣٦٧).[٣] ولكن أوديبوس يرد على الكورس بنفس وجهة نظره السابقة أنه فعل ما هو خير لحالته؛ فهو لا يستطيع أن يواجه بنظرات عينيه (*οὐκ οἶδ'*) *πατέρα ποτ'*) والده وأمه التعيسة في عالم الموتى (*ὄμμασιν ποίοις βλέπων*، البيت ١٣٧١) *ἀν προσεῖδον εἰς Ἅιδου μολών, οὐδ' αὖ τάλαιναν μητέρ'* اقترف في حقهما أعمال لا يكفر عنها الموت شنقا (*οἶν ἐμοὶ δυοῖν ἔργ' ἐστὶ κρείσσον'*، البيت ١٣٧٣ وما يليه)، ولا يستطيع أيضا أن يواجه أبنائه الذين ولدوا منه (*Ἀλλ'*) *ἀγχόνης εἰργασμένα*، البيت ١٣٧٥)، فهل هذا سيكون منظرا جميلا لعينيه، فكان الأفضل *ἡ τέκνων δῆτ' ὄψις ἦν ἐφίμερος*، البيت ١٣٧٧).[٤] فبالنسبة ألا يراهم بعينيه أبدا (*Οὐ δῆτα τοῖς γ' ἐμοῖσιν ὀφθαλμοῖς ποτε*، البيت ١٣٧٧) لأوديبوس العمى أفضل من مواجهة ثمار آثامه وأفضل من أن يرى نظرات الاتهام في عيون والديه وأبنائه.[٥] فقد وصل أوديبوس إلى حالة الإيمان بأنه ليس له أى قبول اجتماعى سواء من أسرته أو من أهل وطنه.[٦] فبعد أن عرف الناس حقيقة دنسه، لا يستطيع أن ينظر إليهم بأعين مفتوحة بسبب خجله (*ἐγὼ κηλῖδα μηνύσας ἐμὴν ὀρθοῖς ἔμελλον ὄμμασιν τούτους ὁρᾶν;*، البيت ١٣٨٤ وما

---

(١) عن نبوءة الإله أبوللون ودوره في مصير أوديبوس، أنظر:

J.Peradotto, "Disauthorizing Prophecy: The Ideological Mapping of *Oedipus Tyrannus*" *TAPhA* 122 (1992), pp. 9-10.

(٢) يؤكد A.W.H.Adkins (*Merit and Responsibility*. A Study in Greek Values.Chicago & London 1975, p. 98) العلاقة بين قيام أوديبوس بإعماء نفسه وشعوره بالذنب لتدنيس دم الأسرة.

(٣) يعلق Garrison (*Groaning Tears: Ethical and Dramatic Aspects of Suicide*, p. 112) أن يوكاستا اختارت حلا مختلفا لمشكلتها، هذا الحل الذي وجده الكورس مناسبا أيضا لأوديبوس. ولكن أوديبوس بعد أن أدرك أن مصيره محتوم، أعمى نفسه ليعبر عن فهمه وإدراكه لتفاهة المعرفة البشرية، وعدم جدوى إعادة اندماجه مرة ثانية في المجتمع بعد أن عرف بدنسه. ولذا قد نفذ أوامر الملك (هو نفسه) بوصفه مجرما؛ فقد حكم على نفسه بالنفي والفقر والتسول بوصفه دورا جديدا له، فقد كسب بعماه رؤية جديدة للحياة البشرية.

أنظر أيضا: Gould, "The Innocence of Oedipus: The Philosophers on *Oedipus the King*: I", p. 383.

(٤) يوضح Berthold-Bond ("Hegel on Madness and Tragedy", p. 92) أن أوديبوس كشف عن ذكريات أعماله السيئة، عندما كشف عن المفهوم الحقيقي لعمله الذي كان مختفيا في اللاوعي. هذا الكشف ربط بين الوعي واللاوعي، بين المعرفة والجهل. أنظر أيضا:

Buxton, "Blindness and Limits: Sophokles and the Logic of Myth", p. 25.; L.Golden, "Hamartia, Ate, and Oedipus", *CW* 72 no.1 (1978), p. 6.

(٥) عن الأبيات ١٣٧١–١٣٧٧ من مسرحية أوديبوس ملكا، وعلاقتها بتدنيس أوديبوس لدم أسرته، أنظر:

Adkins, *Merit and Responsibility*, pp. 98-99. Devereux, "The Self-Blinding: of Oidipous in Sophokles", pp. 39-40.

(6) Goldhill, *Reading Greek Tragedy*, p. 219.

يليه).[١] ولو كان باستطاعته أيضا أن يمنع الصوت عن أذنه (*εἰ τῆς ἀκουούσης ἔτ' ἦν πηγῆς δι'* *ὤτων φραγμός*) لفعل هذا حتى يحرم جسمه الحقير من حاسة السمع أيضا (الأبيات ١٣٨٦-١٣٨٨). فبالإضافة إلى أنه لا يرى، لا يرغب في أن يسمع شيئا أيضا (*ἵν' ἦ τυφλός τε καὶ κλύων μηδέν*، البيت ١٣٨٩)، فإنه شئ جميل أن يرتاح الجسم من سماع الشرور ورؤيتها (*τὸ γὰρ τὴν φροντίδ'* *ἔξω τῶν κακῶν οἰκεῖν γλυκύ*، البيت ١٣٨٩ وما يليه).[٢] هنا يوضح أوديبوس سبب تخلصه من نور عيناه؛ إنه لا يستطيع أن ينظر إلى الناس بعين مفتوحة بعد أن عرفوا خطاياه، ولو كان باستطاعته أن يسلب جسده حاسة السمع أيضا لفعل، لأن الأذن ترى أيضا من خلال سماع الكلمات، ويوضح أن راحة النفس في عدم سماع ورؤية الشرور والآلام.[٣]

ينتحب أوديبوس عينيه؛ حيث يطلب من ابنتيه أن يقتربا من يديه اللتين حرمتا أبيهما من عينيه (*αἵ τοῦ φυτουργοῦ πατρὸς ὑμὶν ὧδ' ὁρᾶν*، البيت ١٤٨٢)، بعد أن كان يرى بهما منذ قليل (*τὰ πρόσθε λαμπρὰ προὐξένησαν ὄμματα*، البيت ١٤٨٣)، فقد كان لا يرى بهما أو يعلم بهما شيئا (*οὔθ' ὁρῶν οὔθ' ἱστορῶν*، البيت ١٤٨٤)؛ ويعطي لابنتيه دليلا على جهله: أنهما خرجا من الأحشاء التي خرج منها أبيهما (*πατὴρ ἐφάνθην ἔνθεν αὐτὸς ἠρόθην*، البيت ١٤٨٥)، والآن يبكي عليهما، حيث لا يقوى على رؤيتهما (*σφὼ δακρύω, προσβλέπειν γὰρ οὐ σθένω*، البيت ١٤٨٦). تعد الكلمات السابقة مهمة هنا لفهم حالة عمى البصيرة التي كان يعيشها أوديبوس قبل معرفة الحقيقة؛ فهو كان لا يرى شيئا "*οὔθ' ὁρῶν*" ولا يعلم شيئا "*οὔθ' ἱστορῶν*"، والآن لا يقوى على الرؤية "*προσβλέπειν οὐ σθένω*"، وتكرار تعبيرات عدم الرؤية هنا يوضح عدم أهمية العين لأوديبوس، حيث كان يجهل كل ما يدور حوله، لدرجة انه أنجب من الأحشاء التي خرج منها، ولكنه يبكي لأنه لا يستطيع أن يرى ابنتيه، حيث تكمن فائدة العين في رؤية متع الحياة ولكنها ليست لها فائدة عندما ترى فقط الآثام والخطايا.[٤]

وفي نهاية مسرحية "أوديبوس ملكا"، يعلق الكورس على حالة أوديبوس قبل وبعد معرفة الحقيقة (الأبيات ١٥٢٤-١٥٣٠)؛ ورغم تمتعه بذكاء مفرط في حل الألغاز الذي عجز عنها الناس (البيت ١٥٢٤ وما يليه)، وكان رجلا قويا (*κράτιστος ἦν ἀνήρ*، البيت ١٥٢٥) ولا يوجد واحد من المواطنين إلا نظر إليه في حسد بسبب

---

(١) بخصوص البيت ١٣٨٥ يعلق Cairns (*AIDOS*. The Psychology and Ethics of Honour and Shame, p. 217) أن كلمات أوديبوس هنا تعد دليلا على أنه يمارس مشاعر الخجل التقليدية (*αἰδώς*)؛ حيث يرغب في عدم الرؤية أو أن يكون منظورا قبل وبعد إعمائه لنفسه. ويتفق Berthold-Bond ("Hegel on Madness and Tragedy", p. 92) أن أوديبوس اعترف بذنبه؛ فبعد اللوم التمهيدي للآلهة، يرفض أن يكون هذا مبررا لارتكابه أعماله المدنسة. أنظر أيضا:

Dyson, "Oracle, Edict, and Curse in *Oedipus Tyrannus*", p. 211.

(2) Buxton, "Blindness and Limits: Sophokles and the Logic of Myth", p. 25.

(٣) يعلق Goldhill أن أوديبوس بعد اعتقاده أنه على معرفة بالحقيقة ووعي بقدرته الإستنتاجية تحول إلى أعمى المعرفة، وقد ضرب عمى أوديبوس كل ادعاءاته بالمعرفة والبصيرة. Goldhill; *Reading Greek Tragedy*, p. 220.

(٤) عن سيكولوجية أوديبوس ودوافع إعمائه لنفسه، أنظر:

G. Devereux, "The Self-Blinding: of Oidipous in Sophokles: *Oidipous Tyrannos*" (*JHS* 93 (1973), pp. 36-49.

حظوظه (*οὗ τίς οὐ ζήλῳ πολιτῶν ἦν τύχαις ἐπιβλέπων*، البيت ١٥٢٦)، ولكن الآن قُذف في بحر من الشقاء الخطير (*εἰς ὅσον κλύδωνα δεινῆς συμφορᾶς ἐλήλυθεν*، البيت ١٥٢٧).[١] ويعمم الكورس حالة أوديبوس ليصرح للعبرة المستخلصة من مأساته: لا ينبغي أن نصف إنسانا بالسعادة (*μηδέν' ὀλβίζειν*)، قبل أن نرى اليوم الأخير من حياته (*τὴν τελευταίαν ἰδεῖν ἡμέραν ἐπισκοποῦντα*)، ونتأكد أنه لم يتعرض لأي شر أو معاناة (*πρὶν ἂν τέρμα τοῦ βίου περάσῃ μηδὲν ἀλγεινὸν παθών*، الأبيات ١٥٢٨-١٥٣٠).[٢] تقف تعبيرات الشقاء والمعاناة "*παθών* ، *ἀλγεινὸν*، *δεινῆς συμφορᾶς*" في تعارض مع تعبيرات القوة والسعادة "*ὀλβίζειν*، *τύχαις*، *κράτιστος ἀνήρ*"، لتلقي ضوءا جديدا على التحول في حياة أوديبوس من البصير الأعمى إلى الأعمى البصير، من السعادة والقوة إلى التعاسة والضعف، من الاسم المحسود إلى الاسم التعيس؛ فقد ارتبط جهله بالحقيقة بسعادته وقوته، وأثمرت معرفته بالحقيقة عن تعاسته وضعفه وشقائه.[٣]

وهكذا دارت مسرحية "أوديبوس ملكا" حول المعرفة والجهل، حول الرؤية والعمى. ولكن سوفوكليس يعكس هذه القيم بتهكم قاس؛ يعمي أوديبوس نفسه بمجرد اكتشافه للحقيقة، حيث كان يجهل مصيره عندما كان يرى. ففي اللحظة الحاسمة عندما يتحول جهله إلى معرفة ويتحول الأسود إلى أبيض، يتحول من بصير (أعمى بجهله) إلى أعمي (بصير بمعرفته)؛ فقد اكتسب بعد سقوطه المأسوي هدية التنبؤ بالغيب، وأصبح في مسرحية "أوديبوس في كولونوس" كفيفا ولكنه عرافا مقدسا.

الأعمى البصير – "أوديبوس في كولونوس"

يوضح أوديبوس بنفسه –في مسرحية أوديبوس في كولونوس– التحول في حياته، فبعد أن تنبأ الإله بما لاقه من شرور، أوحى أيضا أن معاناته ستنتهي بعد وقت طويل، وسيصل في النهاية إلى أرض، تستقبله آلهة

---

(1) Ελ-Ανούαρ, *Η έννοια του πλούτου*, p. 67.

(٢) عن الأبيات ١٥٢٤-١٥٣٠ من مسرحية أوديبوس ملكا، أنظر:

W. M. Calder, "*Oedipus Tyrannus* 1515-30", (*CPh* 57 no. 4 1962), pp. 225-227.

ويعلق Calder (*Oedipus Tyrannus* 1515-30", p. 226) أن هذه الأبيات تذكير لكلمات أوديبوس في بداية المسرحية، وقد يتزايد التهكم الدرامي إذا كان المتحدث هو نفسه أوديبوس. و يدعم B.Knox (*Oedipus at Thebes*. New Haven, Conn., 1957, p. 194) أن مسرحية أوديبوس ملكا انتهت مثلما بدأت؛ بعظمة البطل، ولكن في النهاية نجد نوعا مختلفا من العظمة؛ العظمة المبنية على المعرفة، وليس على الجهل، وهذه المعرفة الجديدة، مثلما عند سقراط، معرفة جهل البشر. أنظر أيضا:

B. Arkins, "The Final Lines of Sophocles, *King Oedipus* (1524-30)", (*CQ* n.s. 38, no. 2 1988), pp. 555-558. Champlin, "*Oedipus Tyrannus*" and the Problem of Knowledge", pp. 341-342. S. D. Olson, "On the Text of Sophocles "*Oedipus Tyrannus*" 1524-30", (*Phoenix* 43 no. 3 (1989), pp. 189-195.

(٣) يعلق Harsh ("Implicit and Explicit in the *Oedipus Tyrannus*", p. 254) أن أوديبوس لم يكن سعيدا أبدا، ولكنه طوال أحداث المسرحية كان يفكر من هو، وبناء على ذلك يلعب المجاز دورا مهما في التأويل لأحداث المسرحية، وفي النهاية تُستخدم الدوافع الرئيسية للمعرفة لتوضح بصورة عامة مأساة أوديبوس، وهكذا اندمجا الضمني والصريح. وعن سعادة أوديبوس عند سوفوكليس، أنظر أيضا:

M. McDonald, *Terms for Happiness Euripides* (*Hypomnemata* 54.Gottingen 1978), pp. 30-35. Ελ-Ανούαρ, *Η έννοια του πλούτου*, p. 70.

عظيمة وتعطيه مكانا يستريح فيه (الأبيات ٨٧-٩٠)، وسيختتم حياته البائسة في هذا المـــكان (*ἐνταῦθα κάμψειν τὸν ταλαίπωρον βίον*، البيت ٩١)، وسيصبح جسده مصدر منفعة لمن يستقبلونه في أرضهم (*κέρδη μὲν οἰκήσαντα τοῖς δεδεγμένοις*، البيت ٩٢)، ومصدر دمار لمن أخرجوه من وطنه ونفوه (*ἄτην δὲ τοῖς πέμψασιν οἵ μ' ἀπήλασαν*، البيت ٩٣).[١] وهكذا سيصبح أوديبوس الملعون مباركا الآن؛ وبالرغم من عماه، فإنه أدرك جيدا مضمون النبوءة التي ستجعله مباركا؛ فقد أصبح له قوة البطل في اللعنة والبركة.[٢] وتوضح التعبيرات "*ἄτη*، *κέρδη*" الدور الجديد لأوديبوس؛ فالأعمى الملعون سيصبح مكسبا للأرض التي سيدفن فيها، وفي الوقت نفسه سيجلب الدمار للبلد الذي خرج منها.[٣]

بعد أن عرف الناس بحقيقة دنس أوديبوس، نُفي من وطنه ووصل هو وابنته أنتيجوني إلى قرية كولونوس في مدينة أثينا، وقد دفعه عماه والظلام الذي يعيش فيه إلى التفكير في محنته السابقة والتعلم من المعاناة التي عاشها وأصبح إنسانا آخر يرى الحياة بمنظور آخر. فمثلما يصرح هو نفسه أن الآلام والمعاناة التي عاشاها لمدة طويلة علمته الرضا والقناعة (*στέργειν γὰρ αἱ πάθαι με χὠ χρόνος ξυνὼν μακρὸς διδάσκει*، البيت ٨ وما يليه).[٤] توضح التعبيرات "*στέργειν... αἱ πάθαι... διδάσκει*" حالة أوديبوس الحالية؛ فقد تعلم من معاناته الرضا، فهو الآن يعلم أنه يجب على الإنسان أن يرضي بمصيره المحتوم ويستسلم له، ولكن هذه المعرفة جاءت متأخرة بعد أن تورط في الدنس وعاقب نفسه بإعماء عينيه.[٥] لذا يطلب من أول شخص يقابله في منفاه أن يعلمه من الأمر ما يجهل (*οὔνεχ' ἡμὶν αἴσιος σκοπὸς προσήκεις ὧν ἀδηλοῦμεν φράσαι*، البيت ٣٤ وما يليه). فقد تعلم أوديبوس من معاناته أنه لا يجب أن يتصرف قبل أن يكون على معرفة، والفعل "*ἀδηλοῦμεν*" يوضح أنه يجهل أمورا بخصوص هذه المدينة. ويستخدم أوديبوس بصيرته في طلب المساعدة في منفاه؛ فبعد أن أدرك أنه بموته في مدينة أثينا سيحل عليها البركات، طبقا للنبوءة، يتعامل بمبدأ تبادل المنفعة، فيقول للشخص الغريب الذي قابله إنه يريد ملك المدينة لكي يقدم له معونة صغيرة سيجني منها منفعة كبيرة (*ἀν προσαρκῶν μικρὰ κερδάνῃ μέγα*، البيت ٧٢)؛ فاستقبال أوديبوس في أرض أثينا سيجلب لها البركة. وعندما يسأله الغريب أي فائدة تأتي من رجل لا يرى (*τίς πρὸς ἀνδρὸς μὴ βλέποντος ἄρκεσις;* ، البيت ٧٣)، يرد عليه أوديبوس أن كل الكلمات التي سيقولها ستكون مبصرة (*Ὅσ' ἀν λέγωμεν πάνθ' ὁρῶντα λέξομεν*، البيت ٧٤). وتلعب التعبيرات

---

(1) T. G. Rosenmeyer, "The Wrath of Oepidus", *Phoenix* 6 no. 3 (1952), p. 94.

(2) P. Burian, "Suppliant and Saviour: *Oedipus at Colonus*", *Phoenix* 28 no. 4 (1974), p. 411.

(٣) عن العمى بصفة عامة في مسرحية أوديبوس في كولونوس، أنظر:
E. A. Bernidaki-Aldous, *Blindness in a Culture of Light.* Especially the Case of Oedipus at Colonus of Sophocles (New York 1990), pp. 215 ff..

(٤) يعلق A. Little إن سوفوكليس في مسرحية أوديبوس في كولونوس يوضح أن الشيخوخة تعالج كل الجراح؛ فأوديبوس العجوز يستطيع بحكمة بصيرته أن ينظر إلى ألام الماضي بدون ندم ويتقبل حاضره وينظر إلى السعادة التي تنتظره في المستقبل.
A. Little; "The Childhood of the World" *The Irish Monthly* 61 no. 718 1933, p. 251.

(٥) يصرح A.Lesky (*Greek Tragedy*, p. 128) أن أوديبوس في مسرحية أوديبوس ملكا قد اكتسب الحكمة خلال معاناته، وأصبح يعرف كيف يتصرف في حياته.

"*ὁρῶντα ، μὴ βλέποντος*" دورا دراميا مهما في توضيح التحول في حالة أوديبوس الحالية؛ فهو لا يرى ولكنه بصيرا، ضعيف ولكنه سيقدم مساعدة كبيرة لأهل أثينا.(١)

يتعلم أوديبوس، من الدرس الماضي ومن خلال معاناته، أنه يجب عليه أن يعلم قبل أن يعمل؛ فقد امتثل لطلب ابنته أن يلتزم الصمت حتي يرى ماذا سيقول أهل المدينة؛ فقد فضل أوديبوس الصمت (*Σιγήσομαί*، البيت ١١٣) وطلب منها أن تقود أقدامه من الطريق وتخفيه في الغابة (*κρύψον κατ' σύ μ' ἐξ ὁδοῦ πόδα*، البيت ١١٣ وما يليه)، حتى يعلم ما يقولونه من كلمات (*ἄλσος*، البيت ١١٣ وما يليه)، حتى يعلم ما يقولونه من كلمات (*ἕως ἂν ἐκμάθω τίνας λόγους ἐροῦσιν*، البيت ١١٤ وما يليه). ويختتم كلماته بدرس تعلمه من معاناته: إن الإنسان يجب أن يعلم قبل أن يعمل حتى يتوخى الحذر (*ἐν γὰρ τῷ μαθεῖν ἐκμάθω، μαθεῖν ἔνεστιν ηὐλάβεια τῶν ποιουμένων*، البيت ١١٥ وما يليه). تشير التعبيرات "*ποιουμένων*" إلى شخصية أوديبوس الجديدة؛ وبالرغم من عماه فإنه يرغب في أن يكون بصيرا بحقيقة الأمور التي حوله قبل أن يتصرف، حتى لا يقع في كارثة أخرى. ويحدد الوسيلة الجديدة لرؤيته، حيث إنه يرى بأذنيه، فهو يرى من خلال الأصوات التي يسمعها (*φωνῇ γὰρ ὁρῶ, τὸ φατιζόμενον*، البيت ١٣٨ وما يليه).(٢) هذا هو أوديبوس الجديد يرى ويفهم ما تسمعه أذنيه "*φωνῇ ὁρῶ*"، بعد أن كان لا يستمع ولا يدرك ما يقال له من نصائح. فهو يدرك الآن، مثلما يصرح في الأبيات ١٤٤-١٤٧، أن القدر لم يتح له أن يستمر في كونه أسعد الناس حظا (*μοίρας εὐδαιμονίσαι πρώτης*)،(٣) وأصبح يرى بعيون الآخرين (*ἀλλοτρίοις ὄμμασιν εἶρπον*).(٤) والتعبير الأخير يوضح أن عيني أوديبوس كانت بلا فائدة، فهو لم يرى بهما حقيقة الواقع الذي يعيشه. وفي تعليق تهكمي من الكورس على حالة أوديبوس، يسأله هل ولد بعينين لا يبصران (*ἀλαῶν ὀμμάτων ἆρα καὶ ἦσθα φυτάλμιος;*، البيت ١٤٩ وما يليه)، وربما تشير هذه الكلمات إلى حياة أوديبوس، حيث كان له عينين، ولكنه لم يرى بهما دنسه ولعنته.

ويطلب الكورس من أوديبوس أن يكون بصيرا بالأمور فهو غريب في أرض أجنبية، ويجب عليه أن يكره ما تكره المدينة ويحترم ما تحب المدينة (الأبيات ١٨٤-١٨٧)، ويمتثل أوديبوس لكلمات الكورس ويستمع لصوت التقوى (*εὐσεβίας ἐπιβαίνοντες*) ويطلب من ابنته أنت تقوده إلى مكان يستطيع منه أن يتكلم ويسمع (*τὸ μὲν εἰ῎ποιμεν، τὸ δ' ἀκούσαιμεν*)، ويتجنب ضرورة النزاع (*μὴ χρείᾳ πολεμῶμεν*، الأبيات ١٨٨-١٩١). هنا يتحول أوديبوس الملعون، الذي كان يعيبه الاندفاع في كل سلوكياته وعدم الاستماع إلى صوت العقل أو الدين، إلى إنسان بصير يتريث في تصرفاته ويتبع التقوى ويفضل أسلوب الحوار ليتفادى أي اندفاع قد

---

(1) Burian, "Suppliant and Saviour: *Oedipus at Colonus*", p. 410.

(٢) عن البيت ١٣٨ وما يليه من مسرحية أوديبوس في كولونوس وعلاقته بمفهوم عمى أوديبوس، أنظر:

Bernidaki-Aldous, Blindness in a Culture of Light, p. 138.

(٣) بخصوص التعبير "*μοίρας εὐδαιμονίσαι*" في البيت ١٤٤ من مسرحية أوديبوس في كولونوس، تعلق McDonald (*Terms for Happiness Euripides*, p. 31) أن أوديبوس كان سعيدا بسبب قدره، وفي الغالب تشير السعادة هنا إلى أنه كان متحررا من المعاناة قبل معرفة دنسه.

(4) M. G. Shields, "Sight and Blindness Imagery in the "*Oedipus Coloneus*", *Phoenix* 15 no. 2 (1961), p. 67.

يؤدي إلى صراع يودي بحياته، مثلما فعل مع والده من قبل. فقد أدرك أوديبوس الآن كيف يتفاعل مع الأحداث التي حوله، ولن يعطي القدر فرصة للعب به مرة أخرى. فهو يوضح لكورس أهل أثينا، الذين يريدون إخراجه من أرضهم، أن أعماله الآثمة قد فرضت عليه دون أن يتعمد ارتكابها (*τά γ' ἔργα μου πεπονθότ' τοῦτ' ἐγὼ καλῶς*) البيت ٢٦٦ وما يليه).[١] والآن يعلم جيدا الحقيقة (*ἐστὶ μᾶλλον ἢ δεδρακότα ἐξοιδα*، البيت ٢٦٩ وما يليه)، إنه لم يكن شريرا بطبعه (*καίτοι πῶς ἐγὼ κακὸς φύσιν*، البيت ٢٧٠)، ولكن ما فعله هو رد فعل طبيعي لمعاناته (*ὅστις παθὼν μὲν ἀντέδρων*، البيت ٢٧١)، ولو تصرف بعقلانية (*εἰ φρονῶν ἔπρασσον*، البيت ٢٧١ وما يليه)، ما أصبح سيئا (*ἂν ὧδ' οὐδὲν εἰδὼς ἱκόμην ἵν' ἐγιγνόμην κακός*، البيت ٢٧٢)، فقد دُفع إلى طريق لم يكن على علم به (*ὑφ' ὧν δ' ἱκόμην*، البيت ٢٧٣)، والذين دفعوه إليه يعلمون أنه سيسقط في طريق الهلاك (*ἐγὼ καλῶς ἔπασχον εἰδότων ἀπωλλύμην ἐξοιδα*، البيت ٢٧٤).[٢] تكمن أهمية تعبيرات أوديبوس " *εἰ φρονῶν ἔπρασσον* " في أنها توضح حالة أوديبوس بعد معاناته؛ فقد أصبح يعرف حقيقة الأمور جيدا، فيجب عليه التفكير قبل الاندفاع لعمل أى شئ قد يسبب له المعاناة مرة ثانية. ويبرز التعبير "*καίτοι πῶς ἐγὼ κακὸς φύσιν*" الجانب الأخلاقي لأوديبوس؛ أنه لم يكن سئ بطبعه "*κακὸς φύσιν*" أي "ظالما"[٣]، ولكن القدر هو الذي جعله يدفع الشر بالشر حتى تتحقق النبوءة.[٤]

وهذا ما يؤكده أوديبوس بنفسه لقائد الكورس؛ حيث يطلب منه ألا يهين وجهه الذي أساءت إليه الأحداث (*μηδέ μου κάρα τὸ δυσπρόσοπτον εἰσορῶν ἀτιμάσῃς*، البيت ٢٨٥ وما يليه)؛ فقد أتى إليهم تقيا مقدسا حاملا الخير لأهل المدينة (*Ἥκω γὰρ ἱερὸς εὐσεβής τε καὶ φέρων ὄνησιν ἀστοῖς τοῖσδε*، البيت ٢٨٧ وما يليه).[٥] توضح التعبيرات "*φέρων ὄνησιν ، ἱερὸς εὐσεβής ، μη....ἀτιμάσῃς*" أن أوديبوس الملعون الذي قد

---

(1) Adkins, *Merit and Responsibility*, p. 105.

(2) Huys, *The Tale of the Hero who was exposed at birth in Euripidean Tragedy*, pp. 69, 160, 245, 264. R. A. Pack, "Fate, Chance, and Tragic Error" (*AJPh* 60 no. 3 1939), p. 354.

(٣) يؤكد Adkins (*Merit and Responsibility*, p. 173) أن المصطلح "*κακός*" يستخدم في البيتين ٢٧٠، ٢٧٢ من مسرحية أوديبوس في كولونوس بمفهوم مضاد للمصطلح "*δίκαιος*" (عادل)، وبعد ذلك يستخدم في البيت ٩٢٠ بوصفه مرادفا للمصطلح "*ἔκδικος*" (لا يطبق القانون).

(٤) يعلق Cairns (*AIDOS*. The Psychology and Ethics of Honour and Shame, p. 222 n. 19) أن الشعور بالدنس لا زال يسيطر على أوديبوس في مسرحية أوديبوس في كولونوس، هذا بالرغم من شعوره بالبراءة (الأبيات ١١٣٢-١١٣٤)، فمازال الدنس يلتصق به بالرغم من أنه طاهر من الذنب في نظر القانون (*νόμῳ καθαρός*، البيت ٥٤٨)، فهو كان في حالة دفاع عن النفس ويجهل الحقيقة (الأبيات ٢٧٠-٢٧٢، ٥٤٧-٥٤٨)، ومن المفترض أن هذا الدنس لا يزول بإظهار فضيلة رعبه من جرائمه. ففي الأبيات ٢٥٨-٢٩١ يظهر أوديبوس براءته الأخلاقية بوصفه شعورا بالخجل والعار (*αἰδώς*) من الدنس الذي لحق به.

(٥) يعلق Burian ("Suppliant and Saviour: *Oedipus at Colonus*", p. 412) أن أوديبوس يظهر في هذه الأبيات برأته الأخلاقية وبركته على الأرض الذي سيدفن فيها. أنظر أيضا:

Rosenmeyer, "The Wrath of Oepidus", p. 100. D.Birge, "The Grove of the Eumenides: Refuge and Hero Shrine in *Oedipus at Colonus*", *CJ* 80 no. 1 (1984), p. 15.

جلب الوباء لمدينة طيبة، تحول الآن إلى شخص مقدس وتقي يجب أن يعامل بالتكريم، حيث سيجلب الخير لمدينة أثينا.(١) وهذا ما يؤكده قائد الكورس عندما يسأله أوديبوس هل سيهتم ملك أثينا بأمره بالرغم من أنه أعمى (*Ἦ καὶ δοκεῖτε τοῦ τυφλοῦ τιν' ἐντροπὴν ἢ φροντίδ' ἕξειν*، البيت ٢٩٩ وما يليه)، فيرد عليه قائد الكورس على الفور أنه سيأتي بدون شك حين يعرف اسمه (*ὅταν περ τοὔνομ'*، البيت ٣٠١). ومرة ثانية يستخدم أوديبوس بصيرته وثقته في مقدرته في منح الخيرات، عندما يصرح أنه يجب على الملك أن يأتي من أجل سعادة مدينته ومن أجل صالحه هو نفسه (*Ἀλλ' αἴσθηται τὸ σόν εὐτυχὴς ἵκοιτο τῇ θ' αὑτοῦ πόλει ἐμοί τε*، البيت ٣٠٨ وما يليه)، هنا يعطي أوديبوس درسا آخر تعلمه من معاناته الماضية: فمن الخير أن يفكر كل إنسان في مصلحته (*τίς γὰρ ἐσθλὸς οὐχ αὑτῷ φίλος*، البيت ٣٠٩).

وعندما تأتي اسميني بالوحي من مدينة طيبة، وتؤكد لأوديبوس أن قوة طيبة تكمن الآن في جسده (*Ἐν σοὶ τὰ κείνων φασὶ γίγνεσθαι κράτη*، البت ٣٩٢)، يسألها أوديبوس أيصبح رجلا قويا بعد أن كان لا شيئا (*Ὅτ' οὐκέτ' εἰμί, τηνικαῦτ' ἄρ' εἴμ' ἀνήρ;*، البيت ٣٩٣)، وترد عليه اسميني بأن الآلهة اليوم سترفع مقامه بعد أن حطت من قدره من قبل (*Νῦν γὰρ θεοί σ' ὀρθοῦσι, πρόσθε δ' ὤλλυσαν*، البيت ٣٩٤).(٢) يوضح التناقض بين التعبيرات "*Ὅτ' οὐκέτ' εἰμί*"، "*πρόσθε δ' ὤλλυσαν*" والتعبيرات "*θεοί σ' ὀρθοῦσι، τηνικαῦτ' ἄρ' εἴμ' ἀνήρ، γίγνεσθαι κράτη*" التغير في حالة أوديبوس فقد أصبح له قوةً بعد ضعف، ووقاراً بعد انحطاط، وهذه هي مكافأة المعاناة التي عاشها بدون ذنب وتعلمه من خلالها كيف يتعامل مع الحياة والبشر. وعندما يسأل أوديبوس ابنته ما النفع الذي سيعود على أهل طيبة من دفنه على أبواب مدينتهم (*Ἦ δ' ὠφέλησις τίς θύρασι κειμένου;*، البيت ٤٠١)، ترد عليه إن لم تحتوي أراضيهم قبره سيصيبهم شر عظيم (*Κείνοις ὁ τύμβος δυστυχῶν ὁ σὸς βαρύς*، البيت ٤٠٢). ومن ثم يتسابق الجميع على إبقاء أوديبوس في أراضيهم حتى يدفن في ترابها ويجلب البركة لها؛ فسخرية القدر تجعل حياته تجلب اللعنة، وموته يمنح البركة.(٣) وهذا ما تكرره اسميني عندما تسمع قرار أوديبوس بعدم العودة إلى طيبة، فتصرح أن هذا سيجلب لهم العبء الثقيل لأهل كادموس (*Ἔσται ποτ' ἆρα τοῦτο Καδμείοις βάρος*، البيت ٤٠٩)؛ وهذا بسبب غضب أوديبوس كلما اقتربوا من قبره (*Τῆς σῆς ὑπ' ὀργῆς,*

---

(١) يدعم Katsours (*Linguistic and stylistic characterization Tragedy*, p. 50) أن أوديبوس يتفوه بكلمات في الأبيات ٢٥٨-٢٩١ من مسرحية أوديبوس في كولونوس تدل على أن المتكلم شخص تقي: *θεοσεβεστάτας* ٢٦٠، *θεῶν* ٢٧٥، *θεοὺς ... θεοὺς* ٢٧٧، *μοίραις* ٢٧٨، *εὐσεβῆ* ٢٧٩، *δυσσεβεῖς* ٢٨٠، *ἀνοσίου* ٢٨١، *ἔργοις ... ἀνοσίοις* ٢٨٣، *ἱερὸς εὐσεβής* ٢٨٧.

(٢) بخصوص البيت ٣٤٤ من مسرحية أوديبوس في كولونوس، يعلق Adkins (*Merit and Responsibility*, p. 139) أن الآلهة أصبح يهمها الآن رد اعتبار أوديبوس، وخصوصا أن لديه القليل من حياته، فقد أصبح بطلا بدون أن يعرف، و سينال قبره التكريم.

(٣) يوضح Lesk (*Greek Tragedy*, pp. 126-127) أن سوفوكليس عرض لنا في مسرحية أوديبوس ملكا إنسانا ليس له حول ولا قوة في مواجهة القوى العليا التي ورطته في الشقاء والبؤس، وفي مسرحية أوديبوس في كولونوس قدم لنا رجلا عانى معاناة كبيرة فينال شفقة الآلهة ويتخلص من شقائه، ومثل أي بطل يجلب الخير لأصدقائه.

σοῖς ὅταν στῶσιν τάφοις، لبيت ٤١١). ومرة ثانية مثلما دفع الغضب أوديبوس لارتكاب جريمة قتل والده، يدفعه هنا من داخل قبره ليجلب الشر للمسيئين إليه.(١)

كان الغضب هو القوى المحركة لأوديبوس في كل مراحل حياته وأيضا بعد مماته. يصرح أنه كان أعمى يجتاحه الغضب (*ὁπηνίκ' ἔζει θυμὸς*، البيت ٤٣٤)، فقد كان أحب شيء على نفسه، بعد أن عرف دنسه، أن يموت أو يرجم بالحجارة (*τὸ κατθανεῖν ἦν καὶ τὸ λευσθῆναι πέτροις ἥδιστον δέ μοι*، البيت ٤٣٤ وما يليه)، ولم يجد أحد يحبه أو يفيده في مأساته (*οὐδεὶς ἐρῶντος τοῦδ' ἐφαίνετ'* *ὠφελῶν*، البيت ٤٣٦). وبعد أن هدأت معاناته أدرك (*ἐμάνθανον*) أن الغضب (*θυμὸν*) هو الذي دفعه إلى معاقبة نفسه على خطاياه السابقة (*πρὶν ἡμαρτημένων*، الأبيات ٤٣٧-٤٣٩).(٢) توضح التعبيرات *"πρὶν ἡμαρτημένων، θυμὸν، ἐμάνθανον"* أن أوديبوس كان يجهل كل ما يحيك له من أحداث دفعته إلى ارتكاب الخطايا، ولكنه فهم أخيرا أن الغضب دفعه إلى الحماقة والعمى العقلي ولم يفكر في أي موقف واجهه؛ قتل والده وعاقب نفسه والآن يعاقب مدينته وأولاده. فقد أخرجته مدينته بالقوة والعنف (*πόλις βίᾳ ἤλαυνέ μ'ἐκ γῆς*)، ولم يرغب أبناؤه في معاونته (*ἐπωφελεῖν...οὐκ ἠθέλησαν*)، وبالرغم من أنهم كانوا قادرين على مساعدته، فإنهم تركوه للنفي والبؤس (*φυγάς σφιν ἐξῶ πτωχὸς ἠλώμην*، الأبيات ٤٤٠-٤٤٤). أما الآن فهو يعرف قدر نفسه ويطلب من أهل أثينا أن يقدموا له الحماية في بلدهم (*ἀλκὴν ποεῖσθαι*)، في مقابل أن يكون منقذا كبيرا لمدينتهم (*πόλει μέγαν σωτῆρα*)، ومصدر آلام لأعدائه (*ἐμοῖς ἐχθροῖς πόνους*، الأبيات ٤٥٧-٤٦٠). ومن ثم لن يلعب أوديبوس هنا دور المستجير فقط، ولكن دور المنقذ أيضا لمن يستقبل جسده في أرضه، وهذا ما يؤكده الكورس عندما يمتدح أوديبوس بوصفه منقذاً للأرض (*τῆσδε γῆς σωτῆρα*، البيت ٤٦٢ وما يليه)، ويتمنى أن يُقبل وجوده في أرض أثينا بوصفه مستجيراً منقذاً (*δέχεσθαι τὸν ἱκέτην σωτήριον*، البيت ٤٨٦ وما يليه).(٣)

ويوضح أوديبوس أن عجزه الآن (*Ἐμοὶ μὲν οὐχ ὁδωτά*) جاء بسبب نقيصتين سيئتين (*δυοῖν κακοῖν*): فهو ليس قويا وليس بصيرا (*τῷ μὴ δύνασθαι μήθ' ὁρᾶν λείπομαι γὰρ ἐν*، البيت ٤٩٥ وما يليه). يرافق الضعف *"μὴ δύνασθαι"* هنا عدم الرؤية *"μή ὁρᾶν"*، ولكن هذا يقف في تعارض مع الأحداث في نهاية مسرحية "أوديبوس في كولونوس"؛ حيث لا يخاف أوديبوس الموت؛ وبالرغم من عماه فإنه الوحيد الذي يستطيع أن يتحمل الرعد والبرق ويذهب بخطى ثابتة تجاه نور عالم الموتى.

---

(١) يعلق Burian ("Suppliant and Saviour: *Oedipus at Colonus*", p. 412) أن أوديبوس يفهم الآن قوة اللعنة والبركة الكامنة في عظامه بعد موته؛ فهو يستطيع أن يؤذي بها أهل طيبة ويفيد بها أهل أثينا في حالة حدوث حرب بينهما على أرض قبره؛ فبصيرته جعلته يفهم مصيره البطولي ونمو قوته بالرغم من عماه. أنظر أيضا:

Η.Π.Δημηγρίου, *Η οργή στην αρχαία ελληνική τραγωδία* (Diss Ioannina 1978), p. 256

(2) Δημηγρίου, *Η οργή στην αρχαία ελληνική τραγωδία*, p. 66.

(3) Burian, "Suppliant and Saviour: *Oedipus at Colonus*", p. 413.

ويؤكد أوديبوس أيضا أن جهله وعماه بخصوص حقيقة الأمور هو سبب ما وقع فيه من آثام؛ فقد جاء زواجه بالمصادفة بعد أن ورطته مدينة طيبة في هذا الزواج البغيض (*Κακᾷ εὐνᾷ*)، وكان يجهل ما يتبع هذا الزواج من حماقة ودمار (*οὐδὲν ἴδρις γάμων ἐνέδησεν ἄτᾳ*، البيت ٥٢٥ وما يليه). توضح التعبيرات "*ἄτᾳ، ἐνέδησεν*" العمى البشري الذي وقع فيه أوديبوس، فهو كان يجهل خطورة هذا الزواج، ولهذا وقع في ارتكاب الخطيئة غير المقصودة التي جلبت له الدمار (*ἄτα*). ويؤكد أوديبوس أنه ارتكب فعل القتل (*ἐφόνευσα*)، لأنه كان يجهل ما يفعل (*ἄνους ... ὤλεσα*)، ومن ثم فإنه بريء في نظر القانون (*νόμῳ δὲ καθαρός*)، حيث إنه فعل ذلك بدون علم (*ἄϊδρις ἐς τόδ' ἦλθον*، الأبيات ٥٤٦-٥٤٨).[١] تكمن أهمية هذه الأبيات وتعبيراتها في أنها توضح بالدقة أن أوديبوس بالرغم من أنه كان بصيرا فإنه كان أعمى العقل "*ἄνους*"، فقد كان يجهل ما يفعل، وارتكب جريمته عن طريق خطأ غير مقصود (*ἁμαρτία*، أنظر بعد ذلك البيت ٩٦٧)، لذا فهو برئ أمام القانون؛ حيث ارتكب جريمة بدون علم "*ἄϊδρις*".[٢]

ويتحدث أوديبوس لملك أثينا عن منفعة جسده بالنسبة لمدينة أثينا؛ وبالرغم من أن جسده شقي (*ἄθλιον δέμας*) وذو منظر وضيع (*οὐ σπουδαῖον εἰς ὄψιν*)، فإنه هدية (*δῶρον*)، ومكسبه (*κέρδη*) أفضل من شكله الجميل (*κρείσσον' ἢ μορφὴ καλή*، الأبيات ٥٧٦-٥٧٨).[٣] هنا توضح التعبيرات "*ἄθλιον، οὐ σπουδαῖον، δῶρον، κέρδη*" التحول في حالة أوديبوس بعد معرفة أهمية جسده للمدينة التي ستحتويه في ترابها؛ فبعد شقائه ومنظره الملعون أصبح هدية ومكسب بسبب بركته. ويؤكد أوديبوس

---

(١) عن ذنب أوديبوس، أنظر: Vellacott, "The Guilt of Oedipus", pp. 137-148.

(٢) يرجع أرسطو سبب معاناة أوديبوس إلى خطأ غير مقصود "*ἁμαρτία*"، فهو يستبعد الفسق الأخلاقي وأن تكون المسرحية دراما خطيئة وعقاب (*Arist.Poet.* 1453a, c.13). فالجريمة تمت عند مفترق الطرق، حيث قتل أوديبوس رجلا غير معروف له وهو في حالة ثورة من الغضب، ومن ثم لا يعتبر هذا السلوك جريمة في المفهوم اليوناني ولا تستحق مثل هذا العقاب. يدعم Golden ("Hamartia, Ate, and Oedipus", pp. 5, 10) أن ال "*ἁμαρτία*"، في مسرحية أوديبوس ملكا، خطيئة عقلانية وليست أخلاقية؛ حيث يجرب أوديبوس الاختبار الإلهي والمقابل، وتثبت معاناته ضعف الإنسان ومع التجربة يسترد نور معرفته العقلانية. وضعف أوديبوس كان "*ἁμαρτία*"؛ بمفهوم خطيئة التقدير العقلاني للأمور، وليست نتيجة لـ "*ἄτη*"؛ بمفهوم فعل التدخل الإلهي المعادي والمدمر في مصير البشر.

ويعلق Kendall ("The Sin of Oedipus", pp. 195-197) أن خطيئة أوديبوس تكمن في عدم تفاديه للأحداث التي يجهلها.

ويوضح Versényi ("Oedipus: Tragedy of Self-Knowledge", pp. 25-26) أن الـ "*ἁμαρτία*" هي دافع أوديبوس لكي يعرف نفسه، فقد سيطرت عليه من أجل المعرفة الذاتية والبحث عن الحقيقة، الأمر الذي كان بمثابة النقيصة التراجيدية التي قادته إلى السقوط. فال "*ἁμαρτία*" لا تعني الإثم أو الذنب ولكن تعني وقوع الإنسان في الخطأ بسبب ظلام الحياة المملوء بالجهل وحتى لو كان الإنسان على علم. فالعيب لا يقع في أوديبوس بوصفه حالة خاصة، ولكن بوصفه إنسانا يعيش في عالم لم يصنع لكي يكون الإنسان فيها عارفا بكل شيء. فهمارتيا أوديبوس لا تعبر عن إثم أو ذنب أو حتى عن سقوط إنسان، ولكنها عيب موروث في الحياة والبشر.

ويؤيد T.C.W.Stinton ("Hamartia in Aristotle and Greek Tragedy" *CQ* ns 25 no. 2 1975, pp. 226, 236) أن أوديبوس كان ذا مزاج مندفع، وقد وقع في ال "*ἁμαρτία*"، التي تعني هنا خطأه الكبير عندما تورط بدون قصد في قتل والده والزواج من أمه، فالهمارتيا "*ἁμαρτία*" كانت نوعا من الفهم الخاطئ للحقيقة بسبب جهل أوديبوس لهوية والديه. أنظر أيضا:
Gould, "The Innocence of Oedipus: The Philosophers on *Oedipus the King*: I", pp. 363, 372-3.

(3) Burian, "Suppliant and Saviour: *Oedipus at Colonus*", p. 415.

أيضا لملك أثينا أنه يعرف الغيب؛ وهذا تحول أخر لأوديبوس الذي كان يجهل مصيره؛ فهو يعرف الآن مستقبله، ويوضح للملك أنه لا يجب أن يكشف له عن أمور الغيب، ولكنه يجب أن يثق أنه لن يستقبل شخصا غير مفيد (*ἀχρεῖον οἰκητῆρα*، *εἴπερ μὴ θεοὶ ψεύσουσί με*)، إذا لم تكذب عليه الآلهة (الأبيات ٦٢٤-٦٢٨). توضح التعبيرات السابقة أن أوديبوس أصبح جديرا بثقة الآلهة فيه، حيث أنه على يقين أنهم أعطوه نبوءة صحيحة عن بركة جسده. ويميز هذا التحول في حالة أوديبوس عدم تملك الغضب منه، وهذا ما يؤكده الملك ثيسيوس عندما يتحدث عن غضب أوديبوس وتهديداته بعدم الخروج من الأرض المباركة في أثينا؛ حيث يوضح أن الناس إذا تملك منهم الغضب (*θυμῷ*) أكثروا من التهديدات (*Πολλαὶ ἀπειλαί*) ولكن إذا عـــــادت إليهم عقولهم (*φροῦδα τἀπειλήματα*، *ὁ νοῦς ὅταν αὐτοῦ γένηται*)، ذهبت تهديداتهم هباءً (الأبيات ٦٥٨ - ٦٦٠). فالعقل عندما يتحكم في تفكير أوديبوس، سيذهب عنه الغضب ويمتثل لمطالب أهل أثينا، فالغضب "*θυμός*" مرتبط بغياب العقل "*νοῦς*"، ولكن أوديبوس أصبح متعقلا.[١]

وتعد فضيلة الرضا بالواقع والقناعة سمة من سمات شخصية أوديبوس الجديدة التي تتميز بالتعقل؛ فعندما يعرض كريون على أوديبوس أن يعود معه إلى طيبة، يرفض ويختتم كلامه بأنه يعلم أنه لن يقنعه (*οἶδα γάρ σε ταῦτα μὴ πείθων*) فليتركه يعيش في هذه الأرض، فما دام الإنسان يرضى بحياته (*εἰ τερποίμεθα*) لن يشقى وحتى لو ساءت هذه الحياة (*οὐ γὰρ ἂν κακῶς οὐδ' ὧδ'*، *οἶδα*، *εἰ τερποίμεθα κακῶς ... οὐ*" *ἔχοντες ζῷμεν*، الأبيات ٧٩٧- ٧٩٩). توضح التعبيرات "أن أوديبوس الأعمى فسيولوجيا أصبح على دراية جيدة بحقائق الحياة، فالقناعة هي القيمة التي تجعل الإنسان سعيدا بحياته، وحتى لو أصابها تغيرات القدر، فالمعرفة (*οἶδα*)- تؤدي إلى الرضا (*τερποίμεθα*) -الذي بدوره يؤدي إلى السعادة (*οὐ κακῶς ζῷμεν*).[٢]

ويسخر كريون من سلوك أوديبوس ورفضه العودة إلى طيبة ويسأله ألم يعلمه الزمان أن يكون متعقلا في تصرفاته (*οὐδὲ τῷ χρόνῳ φύσας φανῇ φρένας ποτέ*، البيت ٨٠٤ وما يليه). يشير كريون هنا إلى الحالة الماضية لأوديبوس؛ فقد كان بصيرا ولكنه كان أعمى بجهله وتصرفه بحماقة وبدون تفكير، والآن يجب أن يتعلم من هذا الدرس الماضي ويجب أن يفكر قبل أن يأخذ قرارا.[٣] ويوضح كريون مشكلة أوديبوس بصورة أكثر، حيث يحدد أن الغضب (*θυμός*/*ὀργή*) كان دائما هو سبب معاناته، فدائما كان ينصت لغضبه الذي أساء إليه (*ὀργῇ χάριν δοὺς ἥ σ' ἀεὶ λυμαίνεται*، البيت ٨٥٥). ويؤكد له أن الغضب لا يعرف الشيخوخة فقط، بل يؤدي إلى الموت أيضا (*θυμοῦ γὰρ οὐδέν ἐστι γῆρας ἄλλο πλὴν θανεῖν*، البيت ٩٥٤

---

(1) Webster, "Some Psychological Terms in Greek Tragedy", p. 153.

(٢) عن تكرار سوفوكليس للفعل "*οἶδα*" بمفهوم الرؤية والمعرفة، وخصوصا في نقاط التحول والتعرف في المسرحية، أنظر :-Bernidaki Aldous, *Blindness in a Culture of Light*, pp. 148 f.

(٣) بخصوص المصطلح "*φρένες*" في البيت ٨٠٥ من مسرحية أوديبوس في كولونوس، يعلق Webster ("Some Psychological Terms in Greek Tragedy", pp. 153-154) أن هذا المصطلح له علاقة بالجسد؛ حيث يوضح أن أوديبوس يجب أن ينمو لديه التفكير الناضج الذي يناسب شيخوخته؛ ففي الشيخوخة يجب أن تتزايد الحكمة. قارن البيت ٦٢٢ من مسرحية السبعة ضد طيبة لإسخيولوس: *γέροντα τὸν νοῦν, σάρκα δ' ἡβῶσαν φύει,*

وما يليه).[١] وبعد أن أدرك أوديبوس حقيقة ما حدث له، يوضح لكريون أنه وقع في خطيئة غير مقصودة (*ἁμαρτίας*)، جلبت له الخزي والعار (*ὄνειδος*، البيت ٩٦٦ وما يليه)، فقد ارتكب الخطايا في حق نفسه وحق أسرته (*τάδ' εἰς ἐμαυτὸν τοὺς ἐμούς θ' ἡμάρτανον*، البيت ٩٦٨).[٢] قتل والده دون أن يعلم، فكيف يعلم وقد جاء الوحي لأبيه قبل أن يولد هو بأنه سينجب ابنا سيقتله (البيت ٩٦٩ وما يليه).[٣] أما بالنسبة للزواج من أمه فقد ورطه فيه أخوها كريون، ولقد ولدته أمه دون أن يعلم ودون أن تعلم (*οὐκ εἰδότ'*، البيت ٩٨٣)، وأنجبت منه أبناء كانوا سبب عارها (*οὐκ εἰδυῖα*، البيت ٩٨٤). وهكذا تؤكد تعبيرات أوديبوس السابقة أن سبب خطيئته (*ἁμαρτίας*) هو عدم المعرفة وعماه عن حقيقة ما يدار حوله ولهذا تورط في العار والدنس الذي جلب له في النهاية الدمار (*ἄτη*).[٤] ولكن يؤكد أوديبوس الآن أنه يعلم (*ἐξοιδα*، البيت ٩٨٥) أسباب ما حدث له؛ فهو ليس مسئول عن موت أبيه وزواجه من أمه (الأبيات ٩٨٨-٩٩٠)، فلقد دبرت الآلهة كل شيء وورطته في كل هذه الشرور (*Τοιαῦτα μέντοι καὐτὸς εἰσέβην κακά, θεῶν ἀγόντων*، البيت ٩٩٧ وما يليه).[٥] فالفعل "*ἔξοιδα*" له أهميته الدرامية في توضيح حالة أوديبوس الآن، وبالرغم من أنه أعمى فإنه بصير يعلم حقيقة ما حدث له وما سيحدث له.

---

(١) عن الغضب ودوره في جرائم أوديبوس، أنظر:

Pack, "Fate, Chance, and Tragic Error, pp.354-355.; T. G. Rosenmeyer, "The Wrath of Oepidus", *Phoenix* 6 no. 3 (1952), pp. 92-112.

(٢) بخصوص الكلمات "*ἡμάρτανον*، *ἁμαρτία*" في البيت ٩٦٧ وما يليه من مسرحية أوديبوس في كولونوس، يعلق R.D.Dawe ("Some Reflections on Ate and Hamartia" *CPh* 72 1968, pp. 117-118) أن المصطلح "*ἁμαρτία*" يظهر غير كافيا لوصف الأحداث المأسوية لأوديبوس؛ فمن غير المعقول أن نرى خطيئة خلال الأحداث، والعنصر التراجيدي لمعالجة سوفوكليس لهذه الرواية هو إصرار أوديبوس على اكتشاف الحقيقة، ولا شك أن السبب المباشر لسقوط أوديبوس هو اكتشافه لهويته، فبدون هذا الاكتشاف كان سيستمر ملكا لطيبة ولن يعمي نفسه. ف *ἁμαρτία* أوديبوس من فئة الخطايا التي يُجبر الإنسان على ارتكبها دون قصد وقد تؤدي إلى دماره "*ἄτη*".

(3) D. Collins, "Nature, Cause, and Agency in Greek Magic" (*TAPhA* 133 no. 1 (2003), pp. 33-34.

(٤) عن الخطيئة "*ἁμαρτία*" والدمار "*ἄτη*" في مسرحيتي أوديبوس ملكا و أوديبوس في كولونوس، أنظر:

Daw, "Some Reflections on Ate and Hamartia", pp.90, 108, 111, 116-120.; Golden, "Hamartia, Ate, and Oedipus", pp. 3-12.

(٥) عن القدر ودوره في خطيئة أوديبوس، أنظر: Pack, "Fate, Chance, and Tragic Error", pp. 351-353.

ويؤكد Pack أن جريمة قتل الأب والزواج من الأم لا تعتبر ذنوبا لأوديبوس، حيث إنها أعمال تمت تحت ظروف الصدفة ومن فعل القدر. ولكن تكمن خطيئة (*ἁμαρτία*) أوديبوس في عدم إطاعته لتحذيرات النبوءات التقليدية.

ويعلق W.R.Agard أن أوديبوس أراد أن يخدم شعبه، فحكم عليه القدر أن يصبح وباءً على شعبه، ليوضح كيف تتحكم القوى العليا في حياة البشر. فهو ضحية الصدفة ويعد نموذجا لعجز البشر أمام المعرفة وعلم الغيب.

W.R.Agard) "Fate and Freedom in Greek Tragedy", *CJ* 29 no. 2 1933, pp. 117, 121.

ويدعم Ahrensdorf أن أوديبوس بالرغم من مجهوده في تجنب اللعنة، إلا أن الصدفة العمياء والآلهة القاسية قادته إلى ارتكاب جرائمه المؤسفة. كل هذا يثبت أن البشر عبارة عن ألعوبة في يد الصدفة والآلهة، ومن المستحيل أن يعيش الإنسان في سعادة دائمة ويكتسب رضا الآلهة.

ومرة أخرى تتحدث أنتيجوني عن الغضب بوصفه أحد أسباب عمى أوديبوس عن حقيقة الأمور؛ فهي تطلب منه أن يستمع لكلام ابنه ويفكر في ماضيه وفي المعاناة التي عاشها بسبب أمه ووالده، والتي أثبتت له أن الغضب ينتج الشر (*γνώσῃ κακοῦ θυμοῦ τελευτὴν ὡς κακὴ προσγίγνεται*، البيت ١١٩٧ وما يليه)، وتعد عيناه اللتان فقدتا النور دليلا واضحا على ذلك (*τῶν σῶν ἀδέρκτων ὀμμάτων τητώμενος*، البيت ١٢٠٠).[١] فالغضب هو المسبب الأول لعمى أوديبوس المعرفي والحسي، فهذا أدى إلى جهله بالأحداث التي تورط فيها من البداية وتسببت في إقدامه على تدمير نفسه ذاتيا وإطفاء نور عينيه.[٢]

ولكن أوديبوس يعلم الآن الغيب؛ وبالرغم من عماه فإنه أدرك أن صاعقة زيوس ذات الجناحين تدل على قرب موته (*βροντὴ πρὸς Ἅιδην Διὸς πτερωτὸς ἥδε μ' αὐτίκ' ἄξεται* ، البيت ١٤٦٠ وما يليه). ويصرح لابنته أن حياته وصلت للنهاية (*ἥκει τῷδ' ἐπ' ἀνδρὶ θέσφατος βίου τελευτή*، البيت ١٤٧٢ وما يليه)، ولا يمكن لأحد تأخير هذا، فهو على علم بأجله المحتوم (*κοὐκέτ' ἔστ' ἀποστροφή*، البيت ١٤٧٣). وعندما يسأله ثيسيوس عن دلائله على قرب موته، يرد عليه أن الآلهة أخبروه بذلك (*Αὐτοὶ θεοὶ κήρυκες ἀγγέλλουσί μοι*، البيت ١٥١١)، وهذه العلامات التي ذكرها هي دلائل موته (*ψεύδοντες οὐδὲν σημάτων προκειμένων*، البيت ١٥١٢). وهكذا أصبح أوديبوس الملعون مباركا يتمتع برضا الآلهة وبصيرا يعرف الغيب. ويؤكد ذلك ثيسيوس مصرحا أن أوديبوس أقنعه بأن نبوءاته الكثيرة ليست كاذبة (*Πείθεις με· πολλὰ γάρ σε θεσπίζονθ' ὁρῶ κοὐ ψευδόφημα*، البيت ١٥١٦ وما يليه).

ويؤكد أوديبوس معرفته بالغيب (*Ἐγὼ διδάξω*، البيت ١٥١٨)، عندما يتحدث مع ثيسيوس عما سيقدمه من خير للمدينة (*ἃ σοὶ γήρως ἄλυπα σῇ τε κείσεται πόλει*، البيت ١٥١٨ وما يليه)، ويؤكد له أن في هذا اليوم لن يقوده أحد، ولكنه سيقوده هو الأعمى إلى حيث يموت (*Χῶρον μὲν αὐτὸς αὐτίκ'* *ἐξηγήσομαι, ἄθικτος ἡγητῆρος, οὗ με χρὴ θανεῖν*، البيت ١٥٢٠ وما يليه)، ويطلب منه ألا يخبر أحد بهذا المكان حتى يكون درعا لبلاده من كل الشرور (*ὥς σοι πρὸ πολλῶν ἀσπίδων ἀλκὴν*، البيت ١٥٢٤)، ويخبره أن هناك أسرار سيعرفها هو وحده (*αὐτὸς μαθήσῃ... μόνος*) عندما يصاحبه إلى مكان موته (البيت ١٥٢٦ وما يليه). فلا يجب أن يعرف هذه الأسرار أحد من سكان الأرض (*ὡς οὔτ'* *ἂν ἀστῶν τῶνδ' ἂν ἐξείποιμί τῳ*، البيت ١٥٢٨)، ولا حتى ابنتاه اللتان يحبهما (البيت ١٥٢٩). توضح التعبيرات "*διδάξω*، *ἐξηγήσομαι*، *ἄλυπα*، *ἀλκὴν*، *μαθήσῃ*" سمات شخصية أوديبوس الجديدة، فهو بالرغم من كونه أعمي، فإنه يعلم، يقود، ويدافع من أجل خير البلاد. ويؤكد ذلك عندما يقول لثيسيوس أنه لن يعلمه أكثر مما هو عليم به (*Τὰ μὲν τοιαῦτ' οὖν εἰδότ' ἐκδιδάσκομεν*، البيت ١٥٣٩).[٣] ونجده يقود ابنتيه مثلما كانتا يقوداه من قبل (*ἐγὼ γὰρ ἡγεμὼν*

Ahrensdorf; "The Limits of Political Rationalism: Enlightenment and Religion in *Oedipus the Tyrant*", p. 795

(1) Burian, "Suppliant and Saviour: *Oedipus at Colonus*", p. 426.

(2) Harsh, "Implicit and Explicit in the *Oedipus Tyrannus*", p. 257.

(3) Colchester, "Justice and Death in Sophocles", pp. 22-23.

Χωρεῖτε, σφῷν αὖ πέφασμαι καινός (البيت ١٥٤٢ وما يليه)، ويطلب منهما أن يتركاه ولا يلمساه (*καὶ μὴ ψαύετε ἐᾶτέ με αὐτὸν τὸν ἱερὸν τύμβον ἐξευρεῖν*)، لأنه سيذهب وحده إلى القبر الذي أراد القدر أن يستقر فيه بين أهل هذه الأرض (*μοῖρ' ἀνδρὶ τῷδε τῇδε κρυφθῆναι χθονί*، الأبيات ١٥٤٤-١٥٤٦)؛ وهكذا يقود الأعمى الناس ويذهب وحده إلى قبره.(١)

يذهب أوديبوس إلى ضوء الموت وحده؛ ويخاطبه أيها الضوء المظلم (*Ὦ φῶς ἀφεγγές*، البيت ١٥٤٩)؛ فهو يرى الضوء، ولكن بالنسبة له قاتم اللون مظلم لأنه كفيفا، ثم يواصل حديثه أن أشعة هذا الضوء ستمسه لأخر مرة (*ἔσχατόν σου τοὐμὸν ἅπτεται δέμας*) في إشارة إلى موته، فهو يتحرك ليخفي ما تبقي من حياته في هاديس (*ἔρπω τὸν τελευταῖον βίον κρύψων παρ' Ἅιδην*، الأبيات ١٥٤٩-١٥٥٢). فبالنسبة لأوديبوس، يرمز هذا الضوء إلى موته، مثلما كان يشير في الماضي إلى لعنته؛ فعندما كان بصيرا كان الضوء بالنسبة له غير مفيد؛ حيث لم يساعده في معرفة حقائق اللعنة التي تورط فيها، ولكنه عندما أصبح أعمى يعاني من ظلام عينيه، يتعرف على الحقيقة ويدرك مفاهيم الحياة التي يعيشها ويصبح مباركا، ولكن في هذه الحالة يمثل الضوء له حياة أخرى في عالم الموتى بدون لعنة وبدون جهل، يرافقه البركة والبصيرة.

ويتحدث الرسول عن معجزة موت أوديبوس (*Τοῦτ' ἐστὶν ἤδη κἀποθαυμάσαι πρέπον*، البيت ١٥٨٦)؛ فقد كان لا يقوده أحد ولكنه هو الكفيف الذي يقود الجميع (*αὐτὸς ἡμῖν πᾶσιν ἐξηγούμενος*، البيت ١٥٨٨ وما يليه).(٢) وعندما وصل الجميع إلى مكان القبر، وجد إله ينادي "أوديبوس" بتكرار (*Καλεῖ γὰρ αὐτὸν πολλὰ πολλαχῇ θεός*)، ليتبعه إلى طريق الموت (الأبيات ١٦٢٦-١٦٢٨).(٣) فلم تقتله الصاعقة الملتهبة لزيوس ولا عاصفة أرسلها البحر، إنما قاده أحد الآلهة أو انشقت الأرض وابتلعته لتجعله بعيدا عن الألم، لقد مضى بدون نحيب أو ألم يسببه مرض، إنها معجزة للبشر ولا تبدو منطقية للعقل (الأبيات ١٦٥٨-١٦٦٥).(٤) وبعد ذلك يحظر الملك ثيسيوس ابنتا أوديبوس من البكاء عليه (*Παύετε θρῆνον*)، فالمدينة كلها تدين لأوديبوس بالجميل (*χάρις*، الأبيات ١٧٥١-١٧٥٣). وهكذا يصبح أوديبوس الملعون أوديبوس المبارك، الذي يمنح البركات. ويوضح ثيسيوس لابنتي أوديبوس أنه محظور على أي إنسان أن يعرف قبره أو يقترب من مكانه المقدس (الأبيات ١٧٦٠-١٧٦٣). فقد أصبح المكان الذي دفن فيه أوديبوس مكانا مقدسا؛ عاش ملعونا على الأرض، وأنهى حياته مباركا تحت الأرض.

---

(١) يوضح Buxton ("Blindness and Limits: Sophokles and the Logic of Myth", p. 25) أن العلاقة بين العمى والبصيرة جاءت أيضا في مسرحية أوديبوس في كولونوس؛ ففي البداية يتعاطف الجمهور مع عجوز أعمى عاجز، ولكن بعد ذلك يصبح من الواضح أنه لديه بصيرة أعظم من البشر الآخرين ولديه معرفة بمصيره الذي ينتظره. ونجد سوفوكليس يجعله يتصرف كأنه يُبصر من الناحية الفسيولوجية. أنظر أيضا:

Shields, "Sight and Blindness Imagery in the "*Oedipus Coloneus*", p. 67.

(2) Rosenmeyer, "The Wrath of Oepidus", p. 111.

(3) Lesky, *Greek Tragedy*, p. 129.

(٤) عن معجزة موت أوديبوس وتكريمه بعد حياته المأسوية، أنظر:

R. Sri Pathmanathan, "Death in Greek Tragedy" (*G&R* n s 12 no. 1 (1965), p. 7.

وهكذا وضح لنا التحول في شخصية أوديبوس بين المسرحيتين؛ في مسرحية "أوديبوس ملكا" نجد ملكا يلعن نفسه لجهله وعماه عن حقيقة حياته، ولم يعرف هويته إلا في النهاية؛ بينما في مسرحية "أوديبوس في كولونوس" إنسانا يكسب معرفة بالغيب ويصبح بصيرا بالرغم من عماه، ويكتسب قوة لعن وإيذاء أعدائه. في نهاية المسرحية الأولى يعمي أوديبوس نفسه ويتوسل من أجل نفيه ويدخل قصر والده بوصفه شخصا منبوذا من البشر والآلهة؛ بينما في المسرحية الثانية يكتسب أوديبوس الرؤية الداخلية التي تقوده إلى طريق وطنه النهائي، بل ويدخل الأماكن المقدسة التي حُرمت على البشر، ويقترب من الآلهة التي عاملته بقسوة في بداية المسرحية الأولى. في مسرحية "أوديبوس ملكا" اعتقد نفسه منقذا لوطنه ولكن بعد أن عادت له بصيرته وعرف الحقيقة اكتشف أنه عدوا لوطنه؛ بينما في مسرحية "أوديبوس في كولونوس" أصبح منقذا حقيقيا للأرض التي سيدفن فيها. فقد حدث له تحول من شخص أعمى منبوذا من المجتمع إلى بطل قوي خارق للعادة؛ وربما يكون هذا التحول بسبب التماسه العفو من إلهات الرحمة في كولونوس، أو بسبب معاناته شريدا في غربته.

في النهاية نستطيع أن نقول إن أوديبوس كان يبحث عن نور المعرفة ليبدد به ظلام جهله. وفي لحظة معرفته الحقيقة يعمي عينيه، ويتحول من البصير/ الأعمى إلى الأعمى/ البصير. فقد تحولت حالته كليا وأصبح في مسرحية "أوديبوس في كولونوس" مصدرا للنور، فقد كان في مسرحية "أوديبوس ملكا" أعمى في رؤيته للحقيقة، وحاول أن يرى ما يستطيع أن يراه، وفي النهاية عندما أصبح ملكا على طيبة رأى نفسه وبدأ يبحث عن نسبه. وفي مسرحية "أوديبوس في كولونوس" تحول من البصير/ الأعمى إلى الأعمى/ البصير؛ وأصبح رجلا مقدسا مثل تيرسياس العراف الأعمى؛ فقد منحته الآلهة مصيرا خاصا، وأصبح يتحدث مثل العرافين تدعمه سلطة أبوللون، ويتنبأ بالحرب بين طيبة وأثينا، وموت ابنيه، وسيجلب البركات للذين يسمحون له بالدفن في أراضيهم؛ إنه تحول من أوديبوس الملعون إلى أوديبوس المقدس.

وهكذا نحن أمام شخصيتين لأوديبوس أثبتا أنه لا يوجد علاقة بين البصيرة الحسية والبصيرة المعرفية، ولا بين العمى الحسي والعمى المعرفي. فقد تدفع الظروف الخارجة عن إرادة الإنسان البصير فسيولوجيا أن يكون أعمى؛ جاهلا مغيبا عما يحدث من حوله من أحداث تخصه أو تخص غيره، بينما قد يكون الإنسان الأعمى فسيولوجيا لديه بصيرة معرفية بسبب المعاناة التي يعيشها، مثل رحلة المعاناة التي عاشها أوديبوس والتي بدأها بصير النظر ولكنه أعمى بجهله وعدم تعقله وأنهاها أعمى النظر ولكنه بصيرا بمعرفته وحكمته.

فريد حسن الأنور

كلية الآداب– جامعة عين شمس

faridelanwar@yahoo.com